



فلاسفة العرب



# الغزالي

رَبِّيَا

الجزء الثاني

## الغزالى

لَكَفْ بِرَهْنَ وَجُودَ اللَّهِ  
أَنْتَارَهُ صَافَعَ اللَّهِ بِعَذَابِيْنِ فَائِدَةٌ عَلَى ذَاتِهِ رِبِّهِنَا  
زَائِدَةٌ عَلَى ذَاتِهِ .  
عَلَمَ اللَّهُ : مَعَارِفَةٌ بَيْنَ نَظَارِيْهِ الْفَرَزِيِّيِّ وَنَظَارِيْهِ الْفَلَادِيِّ  
نَوْرَةٌ ١٩٧١ : نَفِيْ نَامُوكُ السَّبَبِيَّةِ يَعْنِي التَّكْلِيفَ  
إِرَادَةُ اللَّهِ : عُلَامَةُ إِرَادَةِ اللَّهِ بَعْدَمِ الْعَالَمِ  
وَحْدَهُ رَبِّهِنَا  
أَفَالَ اللَّهُ : حَقُّ اللَّهِ النَّاهِرُ بِعَنْخَلُوقَاتِهِ وَنَتَاجِعْ  
هَذَا اجْمَعِيْ

النبوة: تحدّيها - الرواية - الراوِي إلَّا هُوَ المُخْتَلِفُ  
ـ المعرفة عند الشأن

الـ

فِرْسَةُ الْجَنَاحِيِّ : إِنَّ الْمُهَاجَرَةَ لِلْأَعْتَدَانَعِ سَائِلَةٌ فِي رَبِّيَّةٍ لَا يَسْعَى  
لِمَا تَكُونُ، يَقْرَأُ إِلَيْهَا اهْتَاجُ الْمُهَاجَرَةِ إِلَى مَارَةٍ فَالْأَعْتَدَانَعُ كَذَلِكَ  
إِنَّا لَا نَجِدُ لِلْأَعْتَدَانَعَ مَادَّةً، وَإِنَّا إِلَيْهِ بِالْوَادِيلِيَّةِ  
الَّتِي يَرْجُدُهَا وَلَكِنْ يَوْمَ الدِّينِ الْأَبْيَانِ وَالْأَسْعَادِ  
مَرْفَةُ اللَّهِ بِالْجَنَاحِيِّ، يَسِّعُهُ (الْمَالَةُ الْثَّانِيَةُ).

الله لا يعْرِفُ إِلَّا الْكَلِيلُ، وَمَنْ أَحْرَى مِنْهُ  
شَرِيكٌ وَالْقَمَرُ شَاهِيْلُ الْمَعْلُومُ فَإِذَا تَفَرَّقَ الْعَدْلُ تَفَرَّقَ الْمَعْلُومُ  
مَمْذُوكُونَ الَّذِينَ الْأَكْثَرُ مِنْهُمْ مُهْلَكٌ لِلتَّفَرُّقِ وَهُوَ مُهَلَّكٌ  
عَلَيْكُمْ: اتَّسِمْ تَفَدِلُونَ لَمَّا آتَيْتُمُ اللهُ يَعْرِفُ الْكَلِيلَاتِ وَرَحْمَتِ  
شَلْفَةِ بَلْ دِنِ الْأَفْلَافِ بَيْنَ أَبْعَدِ مِنْ الْأَخْتِلَافِ بَيْنَ

الكلمة وجزء عياله، فماداً ياذن بجز عياله وطبع از

الكليلات في الاختلاف.

### حث الدمام (المائة الثالثة)

الخلافة: إن الإجهاض مأنة لمؤمن تحول في التراب  
ولديك من أن تفود إلا مثلما كانت عليه

الفرالي: إتنا لا نقول إن هذه الإجهاض تفود في  
لبنساً والله تعالى الذي علّم [هذا الجهد قادر على]  
خلق جسد آخر يعلق به.

بن عبد الوهاب

سنة

للهب وحنا قير

أستاذ الفلسفة العربية في جامعة القدس يوسف

181.07  
G411Y9mA  
V.2

# الغزالى

ربابا



## دَرَاسَتْ - مُخَارَجْ

طبعة ثانية منشحة

الجزء الثاني

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

كل الحقوق محفوظة

في حياة الغزالي احداث خارجية ، وتبعد آفاقاً ، وفيها هزّات داخلية ، عقلية وروحية . وانا قد عرضنا لكل ذلك في الجزء الاول من دراستنا . اما في هذا الجزء ، فترى ما هو اهداً واوضح ، نرى اهم اراء الغزالي كتكلم ، ثم كصوفي ، ونتبع كل ذلك بمحاترات مناسبة .



# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

## المتكلّم

كان الغزالي متكلماً حين دافع عن عقائد السنة، عن عقائد مذهب الرسمي، فهاجم الباطنية، وهاجم الفلاسفة.

وكان متكلماً أيضاً حين عرض عقائد السنة في أهم مسائل الكلام: في ذات الله وصفاته وفاعله، وفي الامامة والنبوة والختير.

واننا لن نعود على جداله للباطنية، ونرجى إلى دراسة مستقلة جداله للفلاسفة في «تيافته»، مكتفين ببسط ارائه الكلامية «الرسمية» في المسائل التالية:

### ١ - وجود الله

ان الانسان مجبول في فطرة عقله على معرفة الله. وانه اذا رأى ما في خلق الله من ترتيب محكم، وامر عجيب، اقر بضرورة صانع يدير، وفاعل يدير ويقدر.

وللغزالي، غير ذلك، برهان طويل نوجزه لك في ما يلي:  
ان لكل حادث سبباً.

وان العالم الجباري حادث . فله اذا سبب .

اما برهان حدوث الاجسام فحاصل من انها لا تخلو من الحوادث، من الحركة والسكنون. فلو لم تكن الاجسام حادثة، لما كان للحركة والسكنون اول ، وكان عدد من الحركات لا نهاية له، وهو محال.

اذًا الاجسام حادثة، ولها سبب هو الله .

وإذا قد ضلَّ الفلاسفة ، اذ قالوا بقدم العالم ، لا بل كفروا اذ  
خالفوا تعليم الشرع في ذلك .  
فالنزياني ، كما رأيت ، يستند في اثبات وجود الله الى ما في العالم  
من نظام عجيب ، والى استحالة عدد من الحركات لانهاية له ، فيتهي الى  
محدث اول ، هو سبب العالم ومنظمه .

### بـ صفات الله

في الله ذات وصفات .

بعض الصفات غير زائدة على الذات ، وبعضها زائد .

ان ما ليس زائداً على الذات ، فالتيك بعضه :

ان الله ازلي ، ليس لوجوده اول ، ابدي ليس لبقاءه اخر .

وان الله واحد ، لا شريك له . ذلك انه لو قدر الله شريك ،

لكان مثله في كل الوجوه ، وذلك محال ، لأن كل اثنين ضرورة

متغيران . ولو جاز وجود اثنين دون مفارقة ، «جاز ان يشار الى انسان

واحد ، ويقال انه انسان ، بل عشرة ، وكماها متساوية ، ممتازة . »<sup>١)</sup>

وان الله مرئي في الآخرة بالابصار ، خلافاً لما زعم المعتلة ، وان

يُكَنْ لا جسم له ولا جهة . ذلك انا لن نرى الله ، كما نرى الاجسام

والالوان ، واما الرؤية نوع من الادراك ، اتم من ادراك العقل واوضح ،

لا يحيطها العقل ، ويقرها الشرع .

اما الصفات الزائدة على الذات فسبع : القدرة ، والعلم ، والحياة ،

والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .

ان هذه الصفات ليست هي الذات - كما ادعى المعتلة وال فلاسفة -

١) الاقتصاد في الاعتقاد . ص ٣٦

بل هي زائدة عليها ، قائمة بها . ان الله قادر بقدرة ، عالم بعلم ، حي بحياة ... لا قادر بذاته ، عالم بذاته ، حي بذاته ...  
 ذاك ان المفهوم من قولنا عالم ، مثلاً ، غير المفهوم من قولنا موجود ،  
 فعلم الله اذا غير وجوده ، واغا هو صفة زائدة على الوجود . وكذاك  
 مفهوم قولنا قادر غير مفهوم قولنا عالم ، واذا العلم غير القدرة . فالصفات  
 متميزة بعضها عن بعض ، متميزة عن الذات<sup>(١)</sup> .

## ٦

ولنتوقف الان قليلاً على بعض هذه الصفات على القدرة ، والعلم ،  
 والارادة .

## علم الله:

اما علم الله فيتسع في رأي الغزالي الى كل معلوم ، موجود او ممكن  
 الوجود ، الى معرفة ذاته ، ومعرفة كل مخلوقاته .  
 ويتفق الغزالي في هذا وال فلاسفة ، على انه يخالفهم في شرح كيفية  
 العلم الاهي .

لقد قال الفلاسفة ان علم الله بالاشيا ، واحد ، لا متغير . واذا الله  
يعلم الاشيا ، لا عند حدوثها ، وفي ذاتها ، بل في الازل ، وفي ذاته ،

(١) ونحن نرى ان الصفات غير متميزة في الحقيقة عن ذات الله ، او بعضها عن  
 بعض ، لأن كل صفة الحية لا مئاكلة ، حاوية في الحقيقة لكل ما يحييه الله ، فالقدرة  
 مثلاً ، هي ايضاً علم وارادة وحياة ... اغا اذا نظر اليها العقل من ناحية خاصة ،  
 فيميزها عن الذات ، ويعيزها بعضها عن بعض . فمكنا اذا نظر الى القدرة ، من  
 حيث هي قدرة فقط ، مييزها عن الذات ، من حيث هي ذات ، وعن العلم من حيث  
 هو علم ... فالتمييز اذا غير حاصل في الله قبل توسط العقل ، حاصل في العقل  
 المحدود اذ ينظر الى الامتناعي ، ناتج عن هذه الوحدة السجقة بين ادراكنا الضعيف  
 واللاحادية الاخية .

علة كل شيء . ان الفلكي ، وقد عرف نظام الافلاك ، يعرف كل كسوف مستقبل ، وزمان حدوثه . وان الله ، علة العالم ، وعلة ما فيه من نظام ضروري ، يعلم في ذاته ، وفي الاذل ، كل سلسلة الاسباب والمبنيات التي ستصدر عنه .

ورأى الفزالي ان هذا النوع من العلم يقتصر حتماً على معرفة الكليات ، على معرفة ما هو الانسان المطلق ، وما هي عوارضه وخصائصه ، ولا يتسع الى معرفة الاشخاص باعيانها ، الى معرفة زيد بعينه ، مثلاً ، وما يصدر عنه من خير ومن شر . وان هذا استئصال للشرعان الاهية ، وانه كفر ذميم .

## ٥

ونحن نرى ان الفلسفه قد جعلوا علم الله بالاشيا ، نوعاً من الاستنتاج ، سيا حين قارفوه بعلم الفلكي ، فبدا ان الله يستنتج وجود الاشيا من معرفته اسبيابها ، وهو علم لا يجوز في حقه<sup>١)</sup> .

على ان الفزالي قد تجاوز فكرة الفلسفه ، وافسد رأيه ، اذ جعل الله ، في نظرهم ، يحيط بالاشيا باعيانها ، لأنهم قالوا انه لا يعزب عنه متنقل ذرة ما في السماوات او في الارض .

١) ان الله يعلم كل شيء ، ويعلمه كما هو . افاغلبه غير مملول للاشياء كعلمنا ، وغير استنتاجي . انه علم اذلي ، واحد ، لا يتغير مع الاشياء والازمات ، لأن كل شيء ماثل لديه في نظره واحدة الحبة ، تصل الاذل بالابد ، وترى كل ما يجري بيته . وأذا لا يعلم الله الاشياء في ذاتها ، عند حدوثها ، بل في ذاته ، وفي الاذل .

وان كينية علم الله ، اذا نظرنا الى كل ما تفترضه من مشاكل ، لسر بجهول ، يتلعم في شرحه اللسان ، ويكلّ العقل . وهل عرفنا بعد كيف تعلم نحن ، فنجاري غرورنا وشرح كيف يعلم الله ؟ الا اسمعوا ما يقوله القديس اغسطينوس : « لا تنتظروا ، اخواني ، ان اشرح لكم كيف يعلم الله . شيئاً واحداً اعرف ، وهو انه لا يعلم كالانسان ، ولا يعلم كالملاك . اما كيف يعلم ، فما اشقق من شرحه ، لاني اعجز من ان اعرفه . »

### قدرة الله :

واما قدرة الله ، فالتيك بعض اراء الغزالي فيها .  
 ان الله قادر على كل شيء ، خالق لكل شيء ، لاجواهر والاعراض ،  
 للكائنات واعمالها . وينذهب الغزالي الى ابعد استنتاج فيقول بان الله هو  
 السبب الوحيد لكل عمل في الجماد ، ولكل قدرة و فعل في الحيوان والانسان .  
 ليست النار ، مثلاً ، سبباً لاحتراق القطن ، بل الله هو السبب . ان  
 ملاقة القطن للنار شرط في الاحتراق ، وقد اخذها الله سنة اليمحرق  
 القطن الا عند ملاقة النار ، ولكنه يستطيع خرق هذه السنة فتكون  
 المعجزات . وان الفلاسفة قد ضلوا ، اذ نسبوا السبيبة للمحسوسات ،  
 وقالوا بضرورة اقتران السبب بالسبب ، فنفوا المعجزات ، او جعلوها  
 قدرة طبيعية في بعض النفوس . ان المعجزة فعل الله .

وان الله سبب الاعمال في الحيوان ، والا من اين كان للعنكبوت ،  
 مثلاً ، ان تنسج من البيوت غرائب الاشكال ، ولتحل ان «تشكل  
 بيتها على شكل التسديس ، فلا يكون فيها مربع ولا مدور»<sup>١)</sup>  
 ولو لد المرة ان يدب الى ذري امه وهو مغمض العينين ؟  
 وافعال الانسان ما شأنها ؟

ان افعال الرعدة مقدورة الله ، لأنها تصدر عن الانسان دون سابق  
 ارادة او علم ، ولا نه عن دفعها عاجز .

وان الافعال الاختيارية مقدورة ايضاً لله ، لأنها حادثة ، وكل حادث خلق له<sup>٢)</sup> .

١) الاقتصاد في الاعتقاد ص ٣٤

٢) بين افعال الرعدة والافعال الاختيارية فرقان : الفرق الاول هو ان الله  
 يخلق افعال الرعدة دون ان يخلق القدرة عليها ، بينما يخلق القدرة على الافعال الاختيارية  
 قبل ان يخلقها . والثاني هو ان افعال الرعدة لا يسبقها معرفة او تردد ، ويسبق  
 الافعال الاختيارية تردد عقلي في افضل المقابلتين .

ويحيل الفزالي الفعل الاختياري على الوجه التالي : ان العقل يتعدد احياناً في خيرية الفعل ويختار ، ويظل متربداً حتى يتبيّن ان الخير في الفعل او الترک ، وحينئذ تبُعُ الارادة ضرورة ، ويكون الفعل . واعلم ان حكم العقل نفسه يحدث جبراً . فالانسان مجبور على الاختيار .

والفعل بعد ليس خلقاً للانسان ، بل لله ، الذي يخلق الفعل بعد القدرة ، والقدرة بعد الارادة ، والارادة بعد العلم .

وما علاقة قدرة الانسان اذاً بالفعل ، وما معنى التكليف ؟

ان الفعل ، في نظر الفزالي ، متعلق بقدرتين ، قدرة الله وقدرة العبد ، على انه متعلق بقدرة الله تعلق المسبب بالسبب ، متعلق بقدرة العبد تعلق الشرط بالشرط . ويجادل الفزالي طويلاً في امكان افراض قدرة للعبد ، لا تتعلق بالمقدور تعلق التأثير والاجداد ، ويقر بانها قدرة بالعجز اشبه ، منها اضفت الى قدرة الله .

اما التكليف فغايته التجويف . والخوف سبب لترك الشهوات ، سبب للتجاهة ، وله سبب الاسباب ومرتبها . فاهل الجنة مقودون الى الجنة بسلاسل الاسباب ، وهي تسلط العلم والخوف عليهم ، واهل النار مقودون الى النار بسلاسل ، وهو تسلط الغفلة والامن عليهم ، وكما هم الى ما يسوق مقهور .

وكل ذلك بعد عدل من الله ، وليس في الامكان احسن منه او اتم . لو لا الليل لما عرف قدر النهار ، ولو لا المرض لما عرف قدر الصحة ، وكذلك لو لا النار لما عرف اهل الجنة قدر الجنة . ما لم يخلق الناقص ، لم يعرف الكامل ، فتقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعاً . فالفزالي ، كما رأيت ، يتفق والفلاسفة على القول بالجبر ، وان اختلقو في التعليل .

وانه يخالف المعتلة ، الذين قالوا بجრية الانسان ، وبيان فعله خلق له وحده ، لا علاقة به لله<sup>(١)</sup>.

### ارادة الله :

واما ارادة الله فقد اختلف الفزالي وال فلاسفة في شرح تعلقها بالمراد ، او ايجاد العالم بنوع عام . قال الفلسفه ان الله بارادة قديمة اوجد العالم ، وان العالم معلول قديم . وقال الفزالي ان الله بارادة قديمة اوجد العالم في الوقت الذي وجد فيه ، وان الارادة قد ميزت وقتاً ما عن غيره من الاوقات المتماثلة ، لأن الارادة صفة من شأنها تبييز الشيء عن مثله خلافاً لما زعم فلاسفة .

وجدال الفزالي للفلاسفة يطول ، فاته يستغرق فصولاً من كتاب «تبافت الفلسفه» .

وان مسألة الارادة هذه هي مسألة قدم العالم وحدودته ، وكل ما دار حول هذه المشكلة من جدل . ولب الجدل يعود الى هذا : الفلسفه يقولون بارادة قديمة ، وبالتالي بفعل قديم ، يستعمل تراخي المفعول عنه ، والفزالي لا يحيط تراخي المفعول عن الفعل ، انا يحيط وجود عالم قديم ،

(١) اما عنن فنرى ان المخلوقات اسباب حقيقة لاغفالها ، وان الله سبب حقيقي لهذه الافعال . لا معنى لموجود لا فعل له ، ولا وجود الا بایجاد الله . ان فعل الانسان معلول له ، ومعلول الله ايضاً ، اغا على تفاوت في السبيبة ، فالله يصل كملة اولى ، والانسان كملة معلولة . ان فعل المخلوق تابع لوجوده : ان وجودنا من الله ، به حدث ، وبه يدوم ، وان وجودنا ليس وجود الله . كذلك فعلنا ، فانه فعل الله ، وفعلنا ايضاً . اما اذا ثنت ان تعرف كيف يتوارد سببان على فعل واحد ، وكيف يظل الفعل الانساني حرّاً على الرغم من ايجاد الله له ، فنقطتك تجاوز حدك . ذاك ان الایجاد الالهي خارج عن نطاق مداركنا ، لا جازحة تمسه ، او وجدان ينبعه ، وان الكيفيات الالهية اجمالاً تفوق ادرائنا المحدود ، فاكتف بطرفي السلسلة بان تعرف ان الله خالق كل شيء ، وبيان الانسان حرّ ، خالق لاعماله .

لأنه يحيل وجود حوادث لا اول لها ، ولا نهاية لعددتها . وما ننوي الان ان نتوقف على هذه المسألة .

### ج - افعال الله

يتوقف الغزالي ، في الكلام عن افعال الله ، على صفة اساسية ، هي حق التصرف المطلق في عباده ، او ما يمكن تسميته التجوز . فهكذا يجوز لله :

١ - الا يخلق الخلق ، واذا خلقهم الا يكلفهم . وقامت طائفة من المعتزلة بوجوب الخلق ، والتکلیف بعد الخلق .

٢ - ان يكلف العباد ما يطیقون وما لا يطیقون . وذهب المعتزلة الى انكار ذلك .

٣ - الا يرادي الاصلاح لعباده ، بل له ان يفعل ما يشاء ، ويحكم بما يريد . وقامت المعتزلة برعاية الاصلاح .

٤ - الا يثيب على طاعة ، والا يعاقب على معصية ، بل ان شاء اثاب ، وان شاء عاقب ، ولا يسامي لو غفر لجميع الكافرين ، وعاقب جميع المؤمنين ، وان الصفح بالله اولى . وقامت المعتزلة بوجوب ثواب الطاعة وعقاب المعصية .

وحجة الغزالي في كل ذلك ان الواجب والحسن والقبيح الفاظ اخطأ الناس معناها .

ان الواجب ما في توکه ضرر ، والحسن ما وافق غرض الفاعل ، والقبيح ما نافي ذاته الفرض . وان الله يأْمُن من الضَّرر ، متزه عن الاغراض ،  
واذا لا واجب عليه ، ولا حسن في حقه او قبيح<sup>١)</sup> .

١) ونحن نرى ان هذه التجاديد ناقصة ، فاسدة .

اجل ان الله خلق العالم ختاراً ، وانه راعي الصالح ، لا الاصلاح ، وانا هناك

## وـ النبوة

النبوة طور وراء العقل ، نبصر فيه غيّاً ، ونطلع على مجهول . وان تشک في النبوة ، فلک عليها قرائن وادلة . ان النائم يدرك الغيب ، والنوم انفوج من خاصية النبوة . وان علم الطب والنجوم لأبعد من ان يتألمها عقل ، واما نيلا بالهام ، وعلمهما انباء ! وان ادوية القلوب المرضى — كادوية الاجسام — لا تدرك بمضاعفة العقل ، بل بنور النبوة ، باسته الانبياء من عبادات ، ويرشدون اليه من تقي . وان معجزات الانبياء ، اذا قاربنا في النبي خلق سليم ، وهدي مصيبة ، واذا رافقتها القرائن ، وسندتها الدلائل تورث في النفس يقيناً ، وتفوي على ما يوردون ضد المعجزات من اشكال الكلام ، ومن شبّات السحر والاضلال .

واک الى انبات النبوة سیسل آمن من كل ذاك ، من كل معجزة وقرينة ، وكأنك تشاهد بالعين ، وتأخذ باليد ، هي سیسل الذوق عن طريق سلوك الصوفية .

ان الاهام الصوفي نوع من الوحي ، اذا بلغته ، ادركت جوهر النبوة . وان الفرق بين النبي والصوفي هو ان النبي يرى بوضوح ما يلمحه الصوفي لمحـا . ان الاهام اضعف من الوحي ، كما ان الرؤيا اضعف من الاهام . الوحي حلية الانبياء ، والاهام حلية الاولى . على ان الوحي

---

اشياء تفضي جا طبيعة الله ، وطبيعة الانسان . يأتي العقل ان يكون هذا الانسان الحر العاقل ، والا يكون مقيداً بطبعته العاقلة ، بغیر يعمله ، وشر ينتبه ، تزل وحي بذلك ام لا . ان الله ، حين يخلق الانسان ، يريده انساناً يعمل ما يقتضيه الكمال الانساني نفسه ، ولا بد اذـا من ثواب وعقاب . وان ارادـة الله هذه لارادة ضرورة ، ناتجة عن حكمة الله في خلقـه . وادـا التكليف واجـب ، والثواب والعـقاب واجـبان . اما تكليفـ الحقـق ما لا يطفـون فـنافـ لـکـالـ اللهـ ، منـافـ للـقـلـ ، وـاخـلاـقـةـ لاـ يـقدـمـ

عليـاـ بـشـرـ ، فـكـيفـ بـالـلهـ العـادـلـ الحـكـيمـ ؟

قد انقطع ، وباب الرسالة انسد ، اما باب الاهام فلا ينسد ، ومدد نوره فلا ينقطع .

وادأ للانسان الى المعرفة طريقان : بشري ورباني . اما الطريق البشري فهو طريق العقل ، يسير على نوره ، وينمو بالتعلم والتفكير . ولكن العقل عاجز في ادراكه الحق ، عرضة للضلال ، هدف للشبهات ، غير واثق من ذاته . وهو ، فوق ذاك ، لا يقوى على هداية ، او يستطيع للقلوب شفاء ، وعن المعاصي زجراً ، وللاهوا ردعماً . وبالتالي لا يستطيع العقل بذاته ثقة ، ولل الحق ادراكاً ، والى الحير سيلأ ، وادأ هو بمحاجة الى نور المهي ، يعيد اليه الطمأنينة ، ويهديه الصواب ، ويرشدء التقى .

## هـ - المشر

قبل البحث في حشر الاجساد ، يثبت الغزالي هذا المبدأ : اذا اثبتت الشرع امراً ، ورآه العقل جائزًا ، او لم يقض باستحالته ، وجب التصديق به . اما ما اثبته الشرع ، واحاله العقل ، فيجب تأويله ، لأن الشرع لا يعلم محالاً .

اما اخثر فقد اثبته الشرع ، ولا يقضى العقل باستحالته ، لأن ما امكن خلقه ، يمكن اعادته . وعليه يجب التصديق بحشر الاجساد ، ويجب تكفير الفلاسفة الذين انكروه .

## الصوفي

التصوف هو السيرة العملية التي انتهى اليها الفزالي ، ورأى ان يسلكها ويدعوا اليها .

وقد وصف هذه السيدة في كتب عديدة ، اهمها كتاب احياء علوم الدين ، ولهذا نرى ان نعتمد هذا الكتاب في عرض تصوف الفزالي ، دون ان نهمل باقي كتبه ، فندرس تباعاً :

### ١ - العادات

العادات هي الفروض الاسلامية : الطهارة ، والصلة ، والزكاة ، والحج ، والصيام .

وكان الفقه يبحث هذه الفروض ، ويستقصي شرطتها .  
على ان الفزالي يرى ان الفقه اقتصر على وصف الاعمال الظاهرة ، وفاته الروح . قال في حديثه عن الصلاة : « وقد استقصينا ، في فن الفقه ... اصولها وفروعها ... ونحن الان ... كاسفون عن دقائق معانها الحقيقة ، في معانى الحشو والاخلاص والنية ، ما لم تجر العادة بذلك في فن الفقه »<sup>١)</sup> .

لهذا يعود الفزالي الى هذه الفروض ليbeth فيها الحياة ، ويbeth فيها الروح ، فلا تبقى مجرد اعمال ظاهرة ، اقحطتها العادة ، واقتصر عليها المؤمنون .

<sup>١)</sup> الاحياء : ٤ : ص ١٠٨

و اذاً ليست الطهارة نظافة خارجية ، و نوعاً من الزينة ، بل هي ، في مفهومها الديني ، تطهير الجوارح عن الامم ، و تطهير القلب عن الرذائل ، و تطهير السرّ عما سوى الله .

و اذاً ليست الصلاة تحريك لسان بكلام ، و حركة جسم برకوع ، بل هي حضور قلب ، و فهم الفاظ ، وهي تعظيم لله ، وهيبة منه ، ورجاء لثوابه .

وقل مثل ذلك في باقي الفروض ، في الزكاة ، واللحج ، والصيام .

## ٢ — العادات

عدا الفروض الشرعية الخمسة ، يأتي المؤمن اعمالاً بشرعاً لا تخصى ، عليه ان يستوحى في القيام بها اياته ، ويهدف الى اخرته .

فالأكل ، وملأ ، واجب ديني ، لانه ضروري لحفظ البدن ، على ان الاغراق فيه امر محظوظ ، لانه دافع للشهوة ، مثير للاهوا .

والزواج له فوائد وله آفات . اما الفوائد فبقاء النسل ، ودفع غوايل الشهوة ، وترويح النفس بالملاح ، وتدبير المقتل ، واجر القيام باعباء الاسرة . واما الآفات فطلب المال الحرام ، والقصور عن احتمال

اذى النساء ، والاستئصال بالأهل عن الله . وعلى المؤمن اذاً ان يقدم على الزواج ان زادت في حقه الفوائد ، وان يحجم عنه ان زادت الآفات .

وكسب المال امر مباح ، على ان يسلك المؤمن الى ذلك السبل المشروعة ، فيمتنع عن كل حرام في التجارة والعقود ، في البيع والاجارة والشركة والقراض .

والجماع يكون مباحاً ومحظوظاً . هو محظوظ ان يثر كامن الشهوات ، وهو مباح لمن يستند الصوت الحسن ، او يستعمله طريقة الى الوجد الصوفي .

وكذا سائر الاعمال البشرية لا يقوم بها مؤمن الا اذا اتفقت وشرائع دينه وهدفت الى طاعة ربها .

المراتب - ٣

في رباعي البدات والعادات تعرّض الفزالي لما هو فرض على كل مؤمن، وأساس لكتابه.

واما في رباعي المهلكات والمنجيات فقد تختلى ذلك ، فولج القلب  
يسقصى عيوبه وفضائله ، ويسلك به الى ذرى الكمال<sup>١</sup> .

6

اما معرفة العيوب فيحصل اليها المريد باسترداد شيخ بصير او صديق متدين ، كما يكتشفها على السنة اعاداته .

٤) وإن الغرافي يهدى لذلك بكتابين في عجائب القلب، ورياضة النفس، يحمل فيها نفيّة الإنسان، وما يستطيعه من كمال ويتعرضه من عقبات.

ان الإنسان يقلبه . والقلب هو الروح، او النفس، او العقل، اي تلك الاعظمة الروحانية، المدركة للأشياء . وإن القلب هو «العالم باقه»، وهو المقرب إلى الله، وهو العامل  $\text{للله}$  ، وهو الساعي إلى الله، وهو المكتشف بما عند الله ولديه» (الاحياء

٣ : ص ٣

وَانِ الْقَلْبُ فِي الْجَسْدِ كَمَلَكٍ فِي مَدِينَةٍ، يَدِيرُ شَؤُونَ الْجَسْدِ، وَيَخْضُعُ لِأَرْادَتِهِ  
جَنُودٌ . وَانِ جَنُودُ الْقَلْبِ حَوَاسٌ وَاعْصَاءٌ، وَاحْسَمُ شَهْوَةً وَغَبْرَةً، وَخَيَالٌ وَفَكْرَةٌ  
وَذَّاكِرَةٌ، «وَإِنَّمَا افْتَنَرَ الْقَلْبُ إِلَى هَذِهِ الْجَنُودِ»، مِنْ حِيثِ افْتَنَارِهِ إِلَى الْمُرْكَبِ  
وَإِثْرَادِ لِسْفَرِهِ، الَّذِي لَاجَهَ خَلْقَهُ، وَهُوَ السَّفَرُ إِلَى اللَّهِ .» (الْأَحْيَا: ٣ : ص ٥)  
وَلِلْقَلْبِ عَمَلَانِ، أَكْتَسَابُ عِلْمٍ، وَتَحْصِيلُ كَمالٍ . امَّا الْعِلْمُ فَيَنْتَهِ بِعِلْمٍ بَشَرِيٍّ،  
وَيَنْتَهِ بِالْعَامِ الْحَيِّ . وَانِ الْأَحَامُ لَا يَعْصِلُ إِلَّا بِتَطْبِيرِ الْقَلْبِ: «الْقُلُوبُ كَلَاوَافِيَّ،  
فَإِذَا دَامَتْ مُهْتَلَةً بِالْمَاءِ لَا يَدْخُلُهَا الْحَوَاءُ . فَالْقُلُوبُ الْمُشْغُولةُ بِغَيْرِ اللَّهِ، لَا تَدْخُلُهَا الْمَرْفَةُ  
بِجَلَلِ اللَّهِ .» (الْأَحْيَا: ٣ : ص ٧)

وأن مبدأ الاعمال الخواطر ، ان دعت الى الخير كانت الحماماً صادراً عن ملوك  
وان دعت الى الشر كانت وسوساً صادراً عن الشيطان . وان القلب قابل ، على

وعيوب النفس هي : شهوة البطن ، شهوة الجسد ، آفات المسان ،  
والغضب ، والحقد ، والحسد ، والبغض ، وحب الجاه ، والرياء ،  
والكبر والعجب ، والغرور .

يتعرض الفزالي لهذه العيوب واحداً واحداً ، فيحدد لك ما هيها  
وأسبابها ، ويبين لك كيف تروع النفس على مراجعتها واستئصالها ، وما  
يجب أن قارسه من قارئين ، وتقوم به من تأملات ، ويورد لك آيات من  
القرآن ، وأحاديث منسوبة للنبي ، واقوالاً لمشاهير المتصوفة .

وانه لبحث طويل حقاً ، يضيق عنه مثل هذا الدرس ، ان نفصل  
للك ما قاله الفزالي في عيوب النفس عيناً عيناً . ولنعرض ، كمثال ، تخليله  
لشهوة البطن :

ان شهوة البطن ، في نظره ، اصل كل العيوب . بها اخرج آدم وجواه  
من الجنة ، ومنها تنبت شهوة اللذة الجسدية . ويتبع هاتين الشهوتين شهوة  
المال والجاه ، وسيلة التمتع بهما . ويتشعب عن طلب المال واجاه آفات  
كثيرة ، كالكبر والرياء ، كالحسد والحقد ، ومنبع كل ذلك البطن .

وبعد ان يورد الفزالي احاديث كثيرة في فضيلة الجموع ، واقوالاً عن  
الانباء ، والوليا ، يعدد فوائده ، فإذا هي للبدن صحة ، وللعقل صفاً ،  
وعلى القناعة والصدق عن ، وإذا بالجروح تكسر شهوات المعاشي ،

التراوي ، لللاحام والوساس ، متجادب بين الاثنين ، « والتطارد بين بندي الملائكة  
والشياطين في مرآة القلب دائم . . . وأكثر النزول قد فتحتها جند الشياطين . »  
(الاحياء : ٣ : ٢١)

وان الشهوة والغضب ، وما يتشعب عنها من حب الغنى ، وشهوة المأكل ، وطلب  
ازينة ، وانصب للذهب ، لا بواب الشيطان الى القلب . وان على الانسان ان  
يمارس لكي يروض جده وحواسه ، ويضبط شهوته وغضبه ، فيطهر قلبه ويصفو  
ويبلغ علماً وكالاً . وان رياضة النفس لامر واجب ، وان اصلاح الاخلاق  
لشيء ممكن .

ويسهل السهر والمواضبة على العبادة ، ويدرك الإنسان بلا ، الله وعدابه .  
ويتهي الفزالي الى كيفية رياضة المريد على الجوع ، فيتكلّم عن  
كمية الطعام ، ونوعه ، وعن اوقات تناوله . على المريد ان يقلل من  
كمية الطعام ، فلا يأخذ اكثر مما يحتاج اليه لقيام جسده وبقاء قواه ،  
وليسكن ذلك على التدرج ، لأن من اعتاد الاكل الكثير ، وانتقل  
دفعة الى القليل ، لم يختمل مزاجه . وعليه ان يتمنع عن شهي الطعام ،  
ولذة اللحوم ، كي لا يسكن الى نعيم الدنيا ، ويسمى وراء المعاصي .  
وان اقل ما يطلب منه الاقتصار في اليوم على اكلة واحدة ، واكثر ما  
يطلب منه ان يطوى ثلاثة ايام . وان بعض سالكين الطريقة يطوفون  
ثلاثين يوماً ، واربعين ، وخمسين .

ويحذر الفزالي المريد من الزرا ، من الامتناع عن الاكل مع الجماعة  
للأكل في الحلوة ، كما يحذر من خطر العجب ، وحب الاستهثار بالتعفف  
وفضيلة الجوع . وانه يكون حينذاك قد خالف شهوة الاكل ، واطاع  
شهوة اجاه ، وهذا كمن هرب من عقرب ، وفرع الى حيَّة .

نكتفي بهذا المثل ، وندعوك الى مطالعة ما كتبه الفزالي في باقي  
عيوب النفس ، فانك واجد فيه نفعاً كثيراً .

#### ٤ - المحبات

رأينا الى الان ما نفح الفزالي من روح دينية في فروض الشرع ،  
وآداب الحياة ، ثم رأينا كيف دعا الى طهارة القلب وصفائه برياضة  
النفس ومجاهدة الاهوا . وها هو يطفر بالصوفي الى اقصى الكمال ،  
الى عرض الفضائل او المقامات الروحية التي تنتهي به الى حب الله  
والفناء فيه .

هذه المقامات تسعة وهي : التوبة ، والصبر ، والشکر ، والخوف ،

والرجاء ، والفقر ، والزهد ، والتوحيد ، والتوكل ، والنجاة .

ينتظم كل مقام من ثلاثة امور : من علم ، وحال ، و فعل .  
اما العلم فن شأن العقل ، به يعرف ما هو المقام ، وما الداعي الى  
طلبه ، وكيف يمكن الوصول اليه .

حتى اذا تم هذا العلم ، انبعثت في النفس عاطفة ، وثار في القلب  
شعور ، اي مالت النفس الى ما رأه العقل من خير . وهذا هو الحال .

ومتي حصل للانسان العلم والحال ، تتج عنها اراده وقصد ، فكان الفعل .  
اذا العلم يولد الحال ، والحال يدفع الى العمل ، « الاول موجب

الثاني ، والثاني موجب للثالث ، اي جواباً اقتضاه اطراط سنة الله .»<sup>١</sup>

خذ مثلآ ، التوبة . فالعقل يرى عظم ضرر الذنب ، وكونها جحاباً  
يفصله عن الله حبوبه . والقلب يتأم لغوات المحبوب ، ويندم على ما صدر  
منه . والارادة تعزم على ترك كل ذنب في الحال والاستقبال . فما رأه  
العقل علم ، والندم حال ، وقصد ترك الذنب فعل<sup>٢</sup> .

٥

وتردد هنا ما قلناه ، حين تكلمنا عن عيوب النفس ، من ان هذا  
الدرس يضيق عن بحث المقامات الصوفية مقاماً مقاماً . على اتنا نورد مثلين ،  
فنوجز تحليله للتوكل ، ثم النجاة .

١) الاحياء : ٤ : ص ٣

٢) وان الغزالي يرى امكان التسلل الماكين ، اي ان يثير الفعل الشعور ،  
وان ينوي الشعور ثقة العقل . قال الغزالي : « ان المواظبة على الطاعات لها تأثير  
في تأكيد طأئنة النفس الى الاعتقاد التقليدي ، ورسوخه في النفس . وهذا امر لا  
يعرفه الا من سبر احوال نفسه ، وراقبها في وقت المواظبة على الطاعة ، وفي وقت  
الفترة ، ولاحظ تفاوت الحال في باطنها . . . فان من يعتقد الرحمة في قلبه على قيم ،  
فان اقدم على مسح رأسه ، وتقدّم امرء صادف في قلبه ، عند ممارسة العمل ، بوجب  
الرحمة ، زيادة تأكيد في الرحمة . ومن يتواضع بقلبه لغيره ، فاذَا عمل بوجبه ،

التوكل هو اعتماد القلب على الوكيل ، وله في القوة والضعف ثلاث درجات : الاولى ان تتتكل على الله اتكلاك على الوكيل . الثانية ان تتتكل عليه اتكل الطفل على امه ، الذي لا يعرف غيرها ولا ينزع الى سواها . والثالثة ان تكون بين يدي الله كالميت بين يدي الفاسد ، لا تفزع اليه ولا تسأله ، لانك تعرف انه بحاجاتك اعلم ، وعلى قضائها احرص .

والمحبة هي غاية المقامات وذروتها . رأى بعض العلماء ان محبة الله غير مسكنة ، فخالفوا بذلك شواهد الشرع وشواهد العقل . ان الشرع قال بمحبة الله ، بدليل الآية : « يحبهم ويحبونه » ، والآية الأخرى : « والذين آمنوا اشد حبًا لله ». اما العقل فيرى ان اسباب الحب خمسة : « نحب وجودنا وبقائنا ، ونحب من يحسن اليانا في ما يعود الى هذا الوجود وبقائه ، ونحب من يحسن الى الناس ، ونحب كل جميل في ذاته ، ونحب من بيننا وبينه مناسبة خفية في الباطن ». وحال ان هذه الصفات قد اجتمعت في الله ، وبلفت فيه اقصى درجات الكمال ، لان منه كل

---

ساجداً له ، او مقبلاً يده ، ازداد التعظيم والتواضع في قلبه . » ( الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٠٣ )

واستناداً الى هذا المبدأ ، يرى الغزالي ان ما يقوم به الصوفيون من حركات خارجية مفید لاثارة الوجد ، فالوصول الى مشاهدة الله . قال الغزالي ، اثنا ، كلامه عن آداب السابع : « ان رقص او تبكي ، فهو مباح ، اذا لم يقصد به المرأة ، لان التبكي استجلاب لحزن ، والرقص مسبب في تخريب السرور ». وقل مثل ذلك في الذكر والسباع ، فان مراجمة اسم الله او احدى صفات ، وان الغنا ، بشعر صوفي او سعيد ، لافعال جسدية تهدى حالة الوجد ، وتساعد عليه .

واذا الشعور مسبب بين سبيعين ، ها العلم والعمل . واداً حب الله ، هدف الصوفي الاقصى ، هو رهن ايان ونقى ، رهن تأمل روحي ورياضة نفس ، رهن تفكير في صفاء القلب ، وعمل على ايجاد هذا الصفاء . وقد الح الغزالي كثيراً على الجمع بين العلم والعمل .

وجود ، وبه كل بقاء ، ومنه كل احسان ، وفيه اكل جمال ، وبينه وبين الانسان مناسبة باطنية . فحسب الله اذا ممكن ، والله احق كائن بالحب .

نكتفي بهذه المثلين ، وندعوك الى مطالعة ما كتبه الفرزالي في مقامات الكبار ، لترى ما عنده من غنى فكري ، ومن تحليل نفسي دقيق .

٥

على انه من الضروري ان نرى ما يلخصه الصوفي من تارين صوفية ، وما ينتهي اليه في ذروة صعوده .  
اما اهم التارين الصوفية فهو :

١ - الذكر : هو الحلو بالنفس ، وتغريغ القلب ، والاقبال على الله براجعة اسمه ، او احدى صفاته ، بالسان الى ان يكمل ، وبالقلب الى ان يحيي كل لفظ ، ولا يبقى سوى المعنى .

٢ - السماع : هو الغناء ، شعر يحرك في القلب حب الله ، والقرب منه .

٣ - الوجود : هو ما يتبع الذكر او السماع من حالات نفسية ، ومن تحريك الظاهر بالرقص والتصفيق ، او بالانين والبكاء . وقد يتبع ذلك تغريق الشاب . ويؤثر الفرزالي ضبط النفس ، والامساك عن كل حرفة خارجية ، انا يعذر من غالب عليه السكر ، فرقض ، وبكى ، ومزق ثوبه .

اما ما ينتهي اليه الصوفي في وجده ، فاثنان :

١ - الفناء في الله : الصوفي يشاهد الله ، فيتجلى له من اطائفه ما لا يوصف ، ويغيب هو عن نفسه ، وعن كل ما يحيط به ، وكأنه والله

واحد . على ان هذه الحالة لا تتجاوز مشاهدة الله ، والقرب منه ، وكل قول بالحاول خطأ . وهكذا شجب الغزالي من الصوفية ما لاجله اضطهدت السنة كبار المتصوفين كالبساطامي ، والحلاج وغيرهما . ولاجل ذلك ايضاً شجب النطق باقوال الشطح - من مثل انا الحق ، او سبحانني ما اعظم شأني - وان عذر من غلب عليه السكر ، ففقده عقله ، وانطقه بها .

٢ - الاهام الصوفي : القلب كملآلة ، ان صفا من كل عيب ، وبلغ الله بالحب ، انعكست فيه صور اللوح المحفوظ - وهي صور كل موجود - فرأى كل شيء ، وعرف الماضي والحاضر والمستقبل . والقلب كحوض محفور . انت تستطيع ان تقرأ الحوض بما تسوقه اليه من الخارج ، او بما اصفي وادوم واغزز تفجّره بالخمر في اسفل الحوض . وهكذا تساق العلوم الى القاب بواسطة انباء الحواس ، او تتفجر في اعماقه الهااماً بواسطة الحلاوة والغزلة وتطهير القلب . والاهام يغنى عن كل علم شرعي او عقلي ، ويولي معارف اخرى ايضاً .

٣ - قلب الصوفي اذا هو ذلك الاناء المصطفى الذي نقاه الله من الارجاس ، وزانه بالاصباغ والالوان ، ليسكب فيه خمرة حبه ، ويتجلّى له في بيته ، ويعكس فيه لائني نوره .

والصوفي هو ذلك الانسان المختار الذي جاز حدود النوع ، ونهل من منبع الحياة ، فاذا هو يحس ما لا يحس الناس ، ويرى ما لا يرون ، واذا هو دفق حب تعمّر مجاريه الفوس ، وسبيل الى الحق يهتدى الناس بهديه .

وان الكمال الصوفي للزروة ما وصل اليه الانسان ، وخير ما يلجه اليه الناس ليتجوّوا من عبودية الاهوا .، وينعموا باسني جمال واصفي حق .

## حكم عام

نشأ الفزالي على الاسلام ، فواعى عقائده ، ومارس فروضه . وتربي الغزالى على يد والد تقي ووصي صوفي ، ثم عاش في كنف وزير يشجع المتصوفين . وقرأ الفزالي كتب الفلسفه ، ورأى لهم في الاسلام نظريات وارا . وعرضت له في عقله شبهات ، وفي ايانه شكوك . فكيف لا ؟ الفزالي بين كل هذه العناصر ، والى مَ انتهى ؟ هذا هو السؤال الذي اعيا اكثرا من باحث ، واليک ما زاد :

١ - نشأ الفزالي مسلماً مؤمناً ، لا بل ولدًا تقياً . على انه ايان ما سبقه بحث ، وتقوى ما تغلبت على عقبات .

٢ - ثم كان الشباب ، وكان التفكير بصحة الایان الموروث ، ونفع العبادة والصلة ، وببدأ الريب يتسرّب الى العقل ، والفتور يدب الى القلب . وقد دامت هذه الحالة زمناً ، والفزالي حائز ، لا هو ذاته الحدث المؤمن التقى ، ولا هو الكافر الذي خلع كل ايان . ولعل ريبة هذا بدأ في ظل امام الحرمين .

٣ - وُعيَن الفزالي استاذًا في بغداد ، وزاد تفكيره في صحة ما يعلم من دين ، واقبل يطّالع تأليف الفلسفه ، فبلغت شكوكه الذروة ، وكاد يخلع كل ايان .

٤ - على ان مطالعات صوفية افاقت في اعماقه شعوراً دينياً هاجماً ،

ومرضاً لمْ به ضخم لديه فكرة الآخرة وخوفه من سوء المصير ، فكان ما وصف لنا في المتنقد من صراع داخلي عنيف ، ومن تردد بين شهوات الدنيا ودعائِي الآخرة .

٥ - وقد تغلب في الواقع الشعور الديني ، وبسدا التصوف ذروة كمال ، فترك الغزالي ببغداد ، ومعنى زاهداً عابداً متتصوفاً .

٦ - على ان الغزالي ما كان بالقلب الذي يستقر ، ولا بالعقل الذي يطمئن .

لم يستقر قلبه على شعور ديني : بدأ ولدًا تقىً ، ثم فتر واهمل ، ثم اقتلعه من وطنه حب جارف ، ثم عاوده شيء من الفتور فعاد به الى اهله يعني بضرورات العيش ، وييارس ثانية التعليم . وهذا التردد في الشعور الديني من ميزات القلوب الحساسة ، التي طفا فيها الاحساس على العمل ، والتأمل النفي الباطني على الجهاد في معترك الحياة .

ولم يطمئن عقله الى اعتقاد : بدأ سيناً اشعرياً ، ثم تردد وشك ، ثم عاوده ايان فيه من اشعريته الاولى ، وفيه من اقوال المتصوفين بالكشف واللام ، وفيه من اراء الفلسفه . هو عقل ذكي يطبع الى فهم كل رأي ، وهو عقل اختياري يعني ما يبدو له صالحًا في كل مذهب .

٧ - على ان الغزالي كان يحroc على مجازاة البيئة ، ويجزع من ان يتهم ، فظللت عقائد السنة عقائد كتبه ، يعرضها في كتب الكلام ، ويدافع عنها ضد باطلي وفليسوف ، ويطهر بها التصوف من اباحتية وحلول . لهذا اخنى شكوكه الى ان زالت ، واودع تأليفه ما لم يكن يشق به ، وضمن باراء ، فما نشرها في الناس .

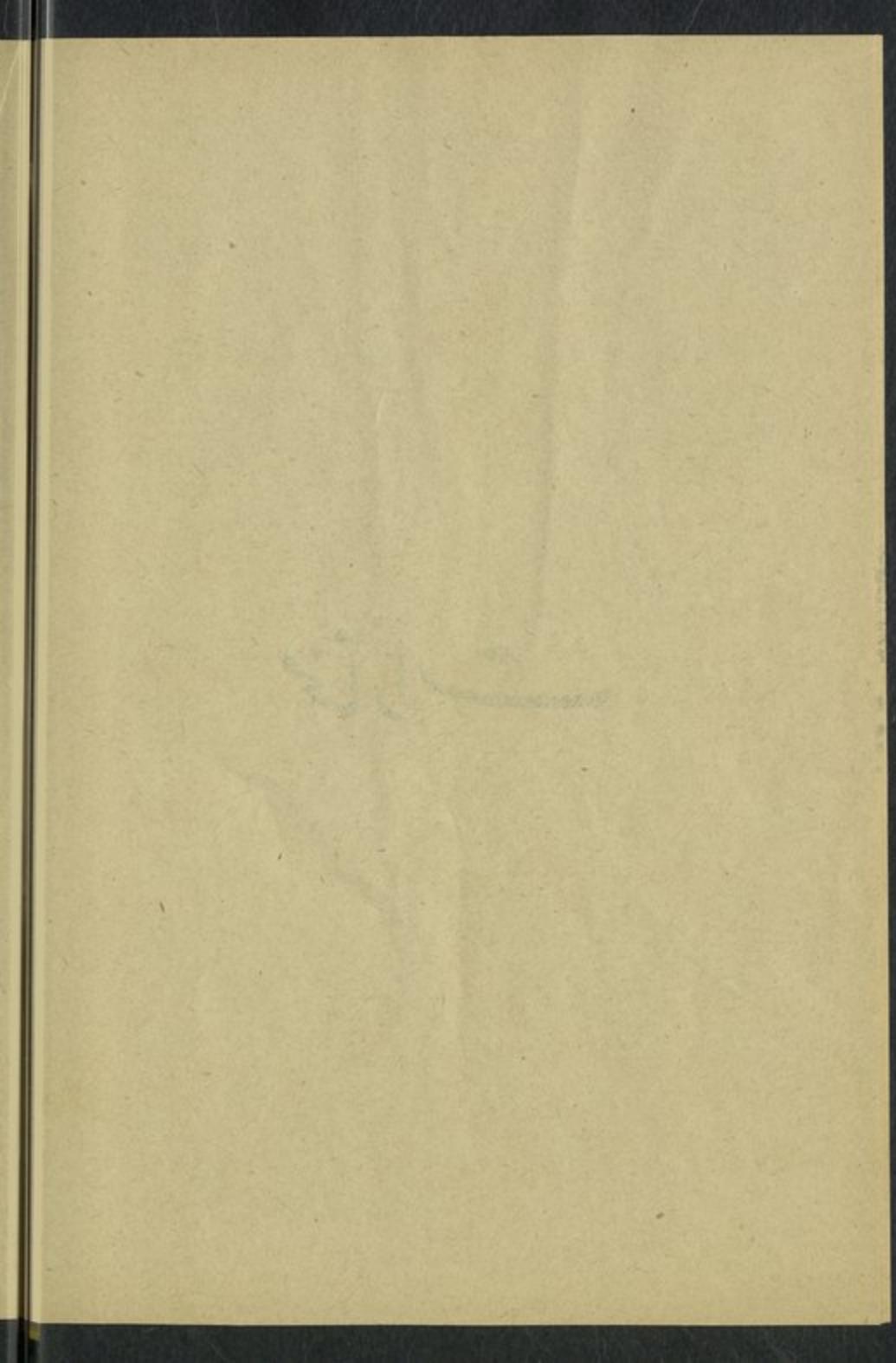
٨ - وان هذا التردد عند الغزالي ، هذا التنقل من حال الى حال ،

وهذا التناقض بين ما كان يعلم رسميًّا وبين ما كان يعتقد في السريرية ،  
هذا ما ليس على الناس حقيقة اعتقاده ، ودفع الباحثين إلى الغلوّ اعجاباً  
او اتهاماً .

قال فيخت : « فلسفتنا إنما هي تاريخ قلبنا . » وان فلسفة الفرزالي  
كانت تاريخ قلبه ، تاريخ قلب قلق يتضمن الاستقرار ، وقلب غني متطلع  
لا يوصد بابه أمام رأي او شعور .



# مختارات



## بين العقل والنقل

الحمد لله ، الذي اجتى من صفة عبادة عصابة الحق واهل السنة ، . . .  
 وعمر افتدتهم بانوار اليقين ، حتى اهتدوا بها الى اسرار ما انزنه على انسان  
 ذييئه ، . . . واظلعوا على طريق التلقيق<sup>(١)</sup> بين مقتضيات الشرائع وموجات  
 العقول ، وتحققوا ان لا معانة بين الشرع المتقول والحق الممقول ، وعرفوا  
 ان من ظن من الشووية وجوب الجهد على التقليد واتباع الظواهر ،  
 ما اتوا به الا من ضعف العقول وقلة البصائر ، وان من تغلغل من الفلاسفة  
 وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ، ما اتوا  
 به الا من خبث الضمائر . فليل اوئلک الى التفريط ، وميل هؤلء الى  
 الافراط ، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط ، بل الواجب المحروم في  
 قواعد الاعتقاد ملازمـة الاقتـاد ، والاعتمـاد عـلـى الصـرـاطـ المستـقـيم ، فـكـلاـ  
 طـارـفي قـصـدـ الـامـورـ ذـمـيمـ .

( الاقتصاد في الاعتقاد : ص ٣ )

## الذين والمعنى

ان الناس اربع فرق :  
 الفرقـةـ الاولـىـ : آمنتـ بالـلهـ ، وـصـدـقـتـ رـسـوـلـهـ ، وـاعـتـقـدـتـ الحقـ وـاضـرـتهـ ،  
 وـاشـتـقـلـتـ اـماـ بـعـادـةـ وـاماـ بـصـنـاعـةـ . فـهـؤـلـاءـ يـنـبـغـيـ انـ يـاتـكـواـ وـماـ هـمـ عـلـيـهـ ،  
 وـلـاـ تـحـرـكـ عـقـائـدـ هـمـ . . .

(١) لفـقـ الشـفـقـيـنـ : ضـمـ اـحـدـاـهـاـ اـلـاـخـرـىـ فـخـاطـلـهـ . وـلـمـ الـكـلـمـةـ فـيـ الـاـصـلـ  
 «ـالتـوفـيقـ» .

الفرقة الثانية : طائفة مالت عن اعتقاد الحق ، كالكفرة والمبتدعة .  
فاسطافي الغليظ منهم ، الضعيف العقل ، الجامد على التقليد ، المترى على  
الباطل من متداً النشوء الى كبر السن ، لا ينفع معه الا السوط  
والسيف ، فاكثر الكفرة اسلمو تحت ظلال السيف ، اذ يفعل الله  
بالسيف والسنن ما لا يفعل بالبرهان والمسان<sup>(١)</sup> ...

الفرقة الثالثة : طائفة اعتقدوا الحق تقليداً وسماعاً ، ولكن خصوا  
في الفطرة بذكاً وفطنة ، فتباهوا من انفسهم لاشكالات شكوكهم  
في عقائهم ، وزلزلت عليهم طمأنيتهم ... فهو لا يحب التلطف بهم في  
معالجتهم ، باعادة طمأنيتهم ، واما حل شكوكهم ، بما امكن من الكلام  
المقنع ، المقبول عندهم ...

الفرقة الرابعة : طائفة من اهل الضلال ، يُفترس فيهم خائئن الذكاء  
والفطنة ، ويتوقع منهم قبول الحق با اعتقادهم في عقائهم من الريمة ،  
او بما يلبين قلوبهم لقبول التشكيك بالجبلة والفطرة . فهو لا يحب التلطف  
بهم في استغالتهم الى الحق ، وارشادهم الى الاعتقاد الصحيح ، لا في  
عرض الحاجة والتعصب ، فان ذلك يزيد في دواعي الضلال ، ويخرج  
بواعث القادي والاصرار ... والجادلة والمعاذدة دا . محض لا دواء له ،  
فليتحرز المتدين منه جهده ، وليترك الحقد والضغينة ، وينظر الى كافة  
خلق الله بعين الرحمة ، وليسعن بالرفق واللطاف في ارشاد من ضل ...

( الاقتصاد : ص ٦-٨ )

(١) هذا رأي من الغزالي غريب ، فان عقل لا يفعل فيه البرهان لغلاظه ، كيف  
يفعل فيه السيف ، فهو آلد اقتناعاً ، ويرجد ايماناً ؟ ان السيف قد ينبعق اللسان بما لا  
يؤمن به القلب ، وما هذا من الدين في شيء ، ان هذا الا كذب ورياء !

## الاصلاح غير واهب

نَدْعُوكُمْ أَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْهِ (عَلَى اللَّهِ) رِعَايَةً الْاِصْلَاحَ لِعِبَادَتِهِ، بَلْ لَهُ  
أَنْ يَفْعُلَ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يَرِيدُ، خَلَافًا لِلْمُعْتَزَلَةِ... .

إِنَّا نَفْرَضُ تَلَاثَةَ اطْفَالٍ، ماتَ احْدُهُمْ وَهُوَ مُسْلِمٌ فِي الصَّبَا، وَبَلَغَ  
الْآخِرَ وَاسْلَمَ وَماتَ مُسْلِمًا بِالنَّارِ، وَبَلَغَ الثَّالِثَ كَافِرًا وَماتَ عَلَى الْكُفَّرِ.  
فَإِنَّ الْعُدْلَ عِنْدَهُمْ أَنْ يَمْحُدَ الْكَافِرُ الْبَالِغُ فِي النَّارِ، وَإِنْ يَكُونَ الْبَالِغُ  
الْمُسْلِمُ فِي الْجَنَّةِ رَتْبَةً فَوْقَ رَتْبَةِ الصَّيِّدِ الْمُسْلِمِ . . فَإِذَا قَالَ الصَّيِّدُ الْمُسْلِمُ :  
يَا رَبِّ، لَمْ حَطَّلْتَ رَتْبَتِي عَنْ رَتْبَتِهِ؟ فَيَقُولُ : لَأَنَّهُ بَلَغَ فَاطِعَانِي ،  
وَإِنَّكَ لَمْ تَطْعُنِي بِالْعِبَادَاتِ بَعْدَ الْبَالِغِ . . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ، لَأَنَّكَ امْتَشَّنِي  
قَبْلَ الْبَالِغِ ، فَكَانَ صَلَاحِي فِي أَنْ تَدْنِيَ بِالْحَيَاةِ حَتَّى يَبْلُغَ ، فَاطِيعَنِي ،  
فَاقْتَالَ رَتْبَتِهِ ، فَلَمْ حَرَّمْتِي هَذِهِ الرَّتْبَةَ إِبْدَ الْأَبْدِينِ ، وَكُنْتَ قَادِرًا عَلَى  
أَنْ تَوْصِلَنِي لِهَا؟ فَلَا يَكُونُ لَهُ جَوابٌ إِلَّا أَنْ يَقُولُ : عَلِمْتُ أَنَّكَ لَوْ  
بَلَغْتَ لِعَصِيتِي وَمَا أَطْعَتِي ، وَتَعَرَّضْتَ لِعَقَابِي وَسَخْطِي ، فَرَأَيْتَ هَذِهِ  
الرَّتْبَةَ النَّازِلَةَ أَوْلَى بِكَ ، وَاصْلَحْتَ لَكَ مِنَ الْعِقَوبَةِ . . فَيَنْادِي الْكَافِرُ الْبَالِغُ  
مِنَ الْمَاوِيَةِ ، وَيَقُولُ : يَا رَبِّ، أَوْ مَا عَلِمْتُ أَنِّي إِذَا بَلَغْتُ كُفْرَتْ؟  
فَأَوْ امْتَشَّنِي فِي الصَّبَا ، وَأَنْزَلْتَنِي فِي تَلَكَ الْمُتَزَلَّةِ النَّازِلَةِ ، إِلَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ  
مِنْ تَحْلِيلِ النَّارِ ، وَاصْلَحْتَ لِي ، فَلَمْ أَحْيِتْنِي ، وَكَانَ الْمَوْتُ خَيْرًا لِي؟  
فَلَا يَبْقَى لَهُ جَوابٌ إِلَّا ... .

أَنَّ الْاِصْلَاحَ لِلْعِبَادِ كَمَا هُمْ لَيْسُ بِوَاجِبٍ ، وَلَا هُوَ مُوجُودٌ .

(الاقتصاد في الاعتقاد: ٨٣-٨٤)

## الماء

لقد كفر الغزالي الفلسفة لانكارهم الماء الجباني . والبيك بعض ما جاء للغزالي في وصف الماء ، وجمله في الماء الجباني :

تفكر في اهل الجنة ، وفي وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم ، جالسين على منابر الياقوت الاحمر ، في خيام من اللؤلؤ الوضياب ، فيها بسط من العبيري<sup>(١)</sup> الاخضر ، متكثرين على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالحمر والعمل ، محفوفة بالفمامان والولدان ، مزينة بالحور العين ، من الحيرات الحسان ، كانهن الياقوت والمرجان ، لم يطمسن انفس قبلهم ولا جان . يمشين في درجات الجنان ، اذا اختافت احداهن في مشيها ، حمل اعطاها سبعون الفا من الولدان ، عليها من طراف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان ، المرصعة باللؤلؤ والمرجان . شكلات ، غنجات ، عطرات ، آمنات من المرم والبؤس ، مقصورات في الخيام ، في قصور من الياقوت ، بنيت وسط روضات الجنان . قاصرات الطرف ، عين .

ثم يطاف عليهم وعليهم باكراب واباريق ، وكأس من معين بيضاء ، لذة للشاربين . ويطوف عليهم خدام وولدان ، كامثال اللؤلؤ المكتنون ، جزا ، بما كانوا يعملون .

في مقام امين ، في جنات وعيون ، في جنات ونهر ، في مقعد صدق ، عند مليك مقتدر ، ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم ، وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم ، لا يرهقهم قترة ولا ذلة ، بل عباد مكرمون ، وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون ، فهم فيها اشتہت انفسهم خالدون ، لا يخافون فيها ولا يخزنون .

(١) نوع من البسط الفاخرة .

وهم من رَبِّ المُنْوَنْ آمِنُونْ ، فِيهَا يَنْتَعِمُونْ ، وَيَأْكُلُونْ مِنْ اطْعَمَتْهَا ، وَيَشْرِبُونْ مِنْ انْهَارَهَا لَبَنًا وَخَمْرًا وَعَسَلًا ، فِي انْهَارِ ارْاضِيهَا مِنْ فَضَّةٍ ، وَحَصَبَاؤُهَا مَرْجَانٌ ، وَعَلَى ارْضِ تِرَاهَا مَسْكٌ اذْفَر١) ، وَنِيَاتِهَا زَعْفَرَانٌ . وَيَمْطِرُونْ مِنْ سَحَابٍ ، فِيهَا مِنْ هَا النَّسْرَينِ<sup>٢)</sup> ، عَلَى كَثِيرٍ كَثِيرٍ الْكَافُورِ . وَيَؤْتُونَ بِاَكْوَابٍ - وَايِّ اَكْوَابٍ! - بِاَكْوَابٍ مِنْ فَضَّةٍ ، مَرَصَعَةٍ بِالدَّرِ والِيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ : كَوْبٌ فِيهِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمُتَنَوِّمٌ ، مَزْوَجٌ بِهِ السَّلَسِيلِ الْعَذْبِ! كَوْبٌ يَشْرُقُ نُورَهُ ، مِنْ صَفَاءَ جَوَهْرَهُ ، يَبْدُو الشَّرَابُ مِنْ وَرَائِهِ يَرْقَتْهُ وَحَمْرَتْهُ ، لَمْ يَصْنَعْهُ اَدْعِيَ فَيَقْصُرَ فِي تَسْوِيَةِ صَنْعَتِهِ ، وَتَخْسِينِ صَنْعَتِهِ، فِي كَفِ خَادِمٍ يَحْكِي ضِيَاً وَجْهَهُ الشَّمْسِ فِي اِشْرَاقِهِا وَلَكِنْ مِنْ اِنْ لِلشَّمْسِ مِثْلُ حَلاوةِ صُورَتِهِ ، وَحَسْنِ اَصْدَاعِهِ ، وَمَلَاحَةِ اَحْدَادِهِ؟ .. .

وَسَلَّلَ رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ قَوْلِهِ : « وَمَا كَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ »، قَالَ: قَصْوَرٌ مِنْ لَؤْلَؤٍ ، فِي كُلِّ قَصْرٍ سَبْعَوْنَ دَارًا مِنْ يَاقُوتٍ اَحْمَرٍ ، فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعَوْنَ بَيْتًا مِنْ زَمْرَدٍ اَخْضَرٍ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَرِيرٌ ، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعَوْنَ فَرَاشًا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ، عَلَى كُلِّ فَرَاشٍ زَوْجَةٌ مِنْ الْحُورِ الْعَيْنِ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعَوْنَ مَائِدَةً ، عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ سَبْعَوْنَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعَوْنَ وَصِيفَةً ، وَيَعْطِيَ الْمُؤْمِنَ فِي كُلِّ غَدَاءً ، يَعْنِي مِنَ الْقَوْةِ ، مَا يَأْتِيَ عَلَى ذَلِكَ اَجْمَعُ! .. .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اَنَّ الرَّجُلَ مِنْ اَهْلِ اِجْنَةٍ لَيَتَرُوْجَ خَمْسَاهَةَ حُورًا، وَارْبِعَةَ آلَافَ بَكْرًا ، وَثَانِيَةَ آلَافَ ثَيْبٍ ، يَعْانِقُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَقْدَارَ عَمَرهِ فِي الدُّنْيَا .. .

قَالَ اللهُ تَعَالَى: « لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا الْحَسَنَى ، وَزِيَادَةٌ! ». وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ

١) اذْفَرٌ : طَبَّبَ الرَّائِحةَ .

٢) وَرَدَ اِيْضَ عَطَرَ اِرْائِحةَ .

هي النظر الى وجه الله تعالى ، وهي اللذة الكبيرة ، التي يُنسى فيها  
نعم اهل الجنة... قال جرير بن عبد الله البجلي : كنا جلوساً عند رسول  
الله ، صلى الله عليه وسلم ، فرأى القراءة ليلة القدر ، فقال : انكم ترون  
ربكم ، كما ترون هذا القراء ، لا تضامون في رؤيتها... وليس لرسور  
أهل الجنة ، عند سعادة اللقاء ، منتهي . بل لا نسبة لشيء من لذات  
الجنة الى لذة اللقاء . وقد اوجزنا في الكلام هنا ، لما فصلنا في كتاب  
الحبة والشوق والرضى . فلا ينبغي ان تكون همة العبد من الجنة بشيء ،  
سوى لقاء المولى ، واما سائر نعم الجنة ، فإنه يشارك فيه البهيمة المسرحة  
في المراعي<sup>(١)</sup> !

(الاحياء : ربيع التجيات : كتاب الموت وما بعده )

### ابن الرشد

ايه الولد : النصيحة سهلة ، والمشكل قبولاً ، لأنها في مذاق مشبعي  
الهوى مرة ، اذ المناهي محبوبة في قلوبهم ، وعلى الحصوص لمن كان طالب  
العلم الرسمي ، ومشتغلًا في فضل النفس ، ومناقب الدنيا . فما زاده يحسم ان  
العلم ، المجرد له ، ستكون نحباته وخلاصه فيه ، وانه مستغن عن  
العمل ، وهذا اعتقاد الفلاسفة . سبحان الله العظيم ، لا يعلم هذا المفروض  
انه حين حصل العلم ، اذا لم يعمل به تكون الحجة عليه آكدة ، كما  
قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : اشد الناس عذاباً يوم القيمة  
عالم لا ينفعه الله بعلمه . وروي ان الجنيد ، قدس الله سره ، رأى في  
النائم بعد موته ، فقيل له : ما الخبر ، يا ابا قاسم ؟ قال : طاحت تلك

---

(١) ألا يكاد يعود الغزالي هنا الى رأي الفلاسفة ، الذين كفروا ؟

العيارات ، وفنيت تلك الاشارات ، وما نفعنا الا ركعيات ركعناها في جوف الليل !

٦

ايه الولد : كم من ليل احيتها بتكرار العلم ، ومطالعة الكتب ، وحربت على نفسك النوم . لا اعلم ما كان الباعث فيه . ان كان نيل غرض الدنيا ، وجذب حطامها ، وتحصيل مناصبها ، والمباهة على الاقران والامثال ، فويل لك ثم ويل لك . وان كان قدرك فيه احياء شريعة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وتهذيب اخلاقك ، وكسر النفس الامارة بالسوء ، فظويبي لك ثم طويبي لك . ولقد صدق من قال شعراً : سهر العيون لنير وجهك ضائعٌ وبكاؤهن لنير فدك باطل

٧

ايه الولد : عش ما شئت ، فانك ميت . واحب ما شنت ، فانك مفارقه واعمل ما شنت فانك مجزي به .

٨

ايه الولد : العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون . واعلم ان العلم لا يبعدك اليوم عن المعايير ، ولا يحملك على الطاعة ، ولن يبعرك غداً عن نار جهنم . اذا لم تعمل اليوم ، ولم تدارك الايام الماضية ، تقول غداً يوم القيمة : فارجعنا نعمل صالحاً . فيقال : يا احق ، انت من هناك تجي .

٩

ايه الولد : ينبغي لك ان يكون قوله وفعلك موافقاً للشرع ، اذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلاله . وينبغي لك ان لا تغتر بالشطح وطامات الصوفية ، لأن سلوك هذا الطريق يكون بالجاهدة ، وقطع شهوة النفس ، وقتل هواها بسيف الرياضة ، لا بالطامات والتراهات ...

واعلم ان بعض مسائلك ، التي سألكني عنها ، لا يستقيم جوابها  
بالكتابة والقول ، ان تبلغ تلك الحالة تعرف ما هي ، والا فعلمها من  
المستحبات ، لانها ذوقية . وكل ما يكون ذوقياً ، لا يستقيم وصفه  
 بالقول ، كحملة الحلو ، ومرارة المر ، لا يعرف الا بالذوق ...  
 واما البعض الذي يستقيم له الجواب ، فقد ذكرناه في احياء العلوم  
 وغيره ونذكر هنا نبذة منه ، ونشير اليه فنقول : قد وجّب على السالك  
 اربعه امور :

الامر الاول : اعتقاد صحيح ، لا يكون فيه بدعة .  
 والثاني : توبه نصوح ، لا يرجع بعدها الى الزلة .  
 والثالث : استرضا ، الحظوم ، حتى لا يبقى لاحد عليك حق .  
 الرابع : تحصيل علم الشريعة ، قدر ما تؤدي به اوامر الله تعالى ،  
 ثم من علوم الآخرة ما تكون به النجاة ...

\* \*

ايها الولد : ... ان حانت الايام كان من اصحاب الشقيق البلخي ،  
 رحمة الله عليها . فسألها يوماً قال : صاحبتي منذ ثلاثين سنة ، ما حصلت  
 فيها ؟ قال : حصلت ثانية فواند من العلم ... :

الفائدة الاولى : اني نظرت الى الخلق ، فرأيت لكل منهم محبوباً  
 ومعشوقاً ، يحبه ويعشقه . وبعض ذلك الحبيب يصاحب الى مرض الموت .  
 وبعضه الى شفاعة اهلاوية . ثم يرجع كلهم ، ويتركه فريداً وحيداً ، ولا  
 يدخل معه في قبره احد . فتفكرت وقتلت : افضل محبوب المرء ،  
 ما يدخل في قبره ، ويزانسه فيه ، فما وجدته غير الاعمال الصالحة ،  
 فاخذتها محبوباً لي ، لتكون براجاً لي في قبري ، وتؤانسي فيه ، ولا  
 تتركني فريداً .

الفائدة الثانية : اني رأيت الخلق يقتدون باهواائهم ، ويبادرون الى

مرادات انفسهم ، فتأملت قوله تعالى : « واما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن المحرى ، فان الجنة هي المأوى » ، وتيقنت ان القرآن حق صادق ، فبادرت الى خلاف نفسي ، وتشمرت بجهادتها ، وما متعتها بوها ، حتى رضيت بطاعة الله ، سبحانه وتعالى ، وانقادت .

الفائدة الثالثة : اني رأيت كل واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا ، ثم يمسكه ، قابضاً يده عليه ، فتأملت في قوله تعالى : « ما عندكم ينفع ، وما عند الله باق » ، فبذلت مخلولي من الدنيا لوجه الله تعالى ، ففرقته بين المساكين ، ليكون ذخراً لي عند الله تعالى .

الفائدة الرابعة : اني رأيت بعض الحاق طلاق شرفه وعزه في كثرة الاقوام والعشائر ، فاعتبر بهم . وزعم آخرون انه في ثروة الاموال ، وكثرة الاولاد ، فاقتصرنا بها . وحسب بعضهم الشرف والعز في عصب اموال الناس ، وظلمتهم ، وسفك دمائهم . واعتقدت طائفتنا انه في اتلاف المال واسرافه وتبذيره . وتأملت في قوله تعالى : « ان اكرمكم عند الله انتم » ، فاخترت التقوى . . .

الفائدة الخامسة : اني رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً ، ويقتات بعضهم بعضاً ، فوجدت ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم . فتأملت في قوله تعالى : « نحن قمنا بيئنهم معيشتهم في الحياة الدنيا » ، فعلمت ان القسمة كانت من الله تعالى في الازل ، فاحسست احداً ، ورضيت بقسمة الله تعالى .

الفائدة السادسة : اني رأيت الناس يعادي بعضهم بعضاً ، لفرض وسبب ، فتأملت قوله تعالى : « ان الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدواً » ، فعلمت انه لا تجوز عداوة احد غير الشيطان .

الفائدة السابعة : اني رأيت كل احد يسمى بحد ، ويجهد ببالغة طلب القوت والماعاش ، بحيث يقع به في شبهة وحرام ، ويذل نفسه ،

وينقص قدره . فتأملت في قوله تعالى : « وما من دابة في الارض ، الا على الله رزقها » ، فلما انتبهت ان رزقها على الله تعالى ، وقد ضنه ، فاشغلت بعبادته ، وقطعت طبعي عن سواه .

الفائدة الثامنة : اني رأيت كل واحد معتقداً على شيء مخلوق ، بعضهم الى الدينار والدرهم ، وبعضهم الى المال والملك ، وبعضهم الى الحرف الصناعية ، وبعضهم الى مخلوق مثله . فتأملت في قوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبي ، ان الله بالغ امره » ، قد جعل الله لكل شيء قدرًا » ، فتوكلت على الله تعالى ، فهو حسبي ، ونعم الوكيل .  
 فقال شقيق : وفقل الله تعالى ! اني قد نظرت التوراة ، والانجيل ، والزيور ، والفرقان ، فوجدت الكتب الاربعة تدور على هذه الفوائد  
 الثانية ، فمن عمل بها ، كان عاملاً بهذه الكتب الاربعة .

٦

ايها الولد : ... انه ينبغي للسائل شيخ مرشد مرب ، ليخرج الاخلاق السليمة منه بتربيته ، و يجعل مكانها خلقاً حسناً . ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح ، الذي يخرج الشوك ، وينحرج النباتات الاجنبية من بين الزرع ، ليحسن نباته ، ويكميل زرعه ...

٧

ايها الولد : اني انصحك بثمانية اشياء ، اقبلها مني اسلاماً يكون عاملك خصاً عليك يوم القيمة ، تعامل منها اربعة ، وتدع منها اربعة .

اما اللواقي تدع :

احدها ان لا تنتظر احداً في مسألة ، ما استطعت ، لأن فيها آفات كثيرة ، فاثبها اكبر من نفعها ، اذ هي منبع كل خلق ذميم ، كالرياء والحسد والكيد والخذل والعداوة والمباهة وغيرها . نعم ، لو وقع مسألة بينك

وبيـن شخص او قوم ، وكانت ارادتك فيها ان تظهر الحق ، ولا يضـع ،  
جاز البحث ...

والثانيـ ما تدعـ هو ان تخـدر من ان تكون واعظـاً ومذـكـراً ، لأنـ  
فيـه آفةـ كثـيرة ، الاـ ان تـعملـ بماـ تـقولـ اولاً ، ثمـ تعـظـ بهـ الناسـ ...  
والثالثـ ما تـدعـ ان لاـ تـخـالـطـ الـامـرـاءـ والـسـلاـطـينـ ، ولاـ تـراـهمـ ، لأنـ  
رؤـيـتهمـ وـمـجاـسـتـهمـ وـمـخـالـطـتـهمـ آـفـةـ عـظـيمـةـ . ولوـ اـبـتـلـتـ بـهـمـ ، دـعـ عنـكـ  
مـدـحـهـمـ وـثـنـاـهـمـ ، لأنـ اللهـ تـعـالـىـ يـغـضـبـ اذاـ مدـحـ الفـاسـقـ وـالـظـالـمـ . وـمـنـ  
دـعـ اـطـلـولـ بـقـائـهـمـ ، فـقـدـ اـحـبـ انـ يـعـصـيـ اللهـ فيـ اـرـضـهـ .

والرابـعـ ما تـدعـ انـ لاـ تـقـبـلـ شـيـئـاًـ مـنـ عـطـاءـ الـامـرـاءـ وـهـدـاـيـاهـ ، وـانـ  
عـلـمـ اـبـهاـ مـنـ الـحـالـلـ ، لأنـ الطـمـعـ مـنـهـ يـفـسـدـ الدـيـنـ ، لأنـهـ يـتـوـلـ مـنـهـ  
المـدـاهـنـةـ ، وـمـرـاعـاةـ جـانـبـهـمـ ، وـمـلـوـاقـةـ فيـ ظـلـهـمـ ...  
وـاماـ الـأـرـبـعـةـ الـتـيـ يـنـبـغـيـ لـكـ انـ تـفـعـلـهاـ :

فالاـولـ انـ تـجـعـلـ مـعـاـمـلـتـكـ مـعـ اللهـ تـعـالـىـ ، بـجـيـثـ لـوـ عـاـمـلـ مـعـكـ بـهـاـ  
عـبـدـكـ تـرـضـيـ بـهـاـ مـنـهـ ، وـلاـ يـضـيقـ خـادـلـكـ عـلـيـهـ ، وـلاـ تـنـضـبـ . وـالـذـيـ لاـ  
تـرـضـ لـنـفـسـكـ مـنـ عـبـدـكـ الـجـازـيـ ، فـلـاـ تـرـضـ اـيـضاـ اللهـ تـعـالـىـ ، وـهـوـ سـيـدـكـ  
الـحـقـيقـيـ .

والـثـانـيـ : كـلـمـاـ عـلـمـتـ بـالـنـاسـ ، اـجـعـلـهـ كـمـاـ تـرـضـيـ لـنـفـسـكـ مـنـهـ ، لأنـهـ لاـ  
يـكـيـلـ اـيـانـ عـبـدـ ، حتـىـ يـجـبـ لـسـائـرـ النـاسـ مـاـ يـحـبـ لـنـفـسـهـ .

والـثـالـثـ : اـذـ قـرـأـتـ الـعـلـمـ ، اوـ طـالـمـتـهـ ، يـنـبـغـيـ انـ يـكـونـ عـلـمـكـ يـصلـحـ  
قـلـبـكـ ، وـيـزـكـيـ نـفـسـكـ ، كـمـاـ لـوـ عـلـمـتـ اـنـ عـمـرـكـ مـاـ يـقـيـ غـيرـ اـسـبـوعـ ...  
وـلـاـ يـرـ عـلـيـ عـبـدـ يـوـمـ وـلـيـلـةـ الاـ وـعـيـكـ انـ يـكـونـ موـتـهـ فـيـهـاـ ...  
والـرابـعـ : اـنـ لـاـ تـجـمـعـ مـنـ الدـنـيـاـ اـكـثـرـ مـنـ كـفـاـيـةـ سـنـةـ .

٥

اـيـهـاـ الـوـلـدـ : اـنـيـ كـتـبـتـ فـيـ هـذـاـ الفـصـلـ مـلـتـمـسـاتـكـ ، فـيـنـبـغـيـ لـكـ انـ

تعلل بها ، ولا تنساني فيه من ان تذكرني في صالح دعائك ... واقرأ  
هذا الدعا في اوقاتك ، خصوصاً اعقاب صلواتك :

اللهم ، اني اسألك من النعمه قائمها ، ومن العصمه دوامها ، ومن  
الرحمة شمولها ، ومن العافية حصولها ، ومن العيش ارغده ، ومن العمر  
اسعده ، ومن الاحسان اتمه ، ومن الانعام اعمته ، ومن الفضل اعذبه ،  
ومن اللطف اقربه . اللهم ، كن لنا ولا تكون علينا . اللهم ، اخْمَ بالسعادة  
آجالنا ، وحقق بالزيادة آمالنا ، واقرن بالعافية غدونا وآصالنا ، واجعل الى  
رحمتك مصيرنا ومايانا ، واصب سجال عفوک على ذنبينا ، ومن علينا  
باصلاح عيوبنا ، واجعل التقوى زادنا ، وفي دينك اجتهدنا ، وعليك  
تقوكنا واعتمادنا . اللهم ، ثبتنا على نهج الاستقامة ، واعذنا في الدنيا من  
موجبات الندامة يوم القيمة ، وخفف عننا ثقل الاوزار ، وارزقنا عيشة  
الابرار ، واكفنا واصرف عننا شر الاشرار ، واعتق رقابنا ورقاب آياتنا  
وامهاتنا واخواننا واخواتنا من النار ، برحمتك يا عزيز يا غفار ، يا كريم يا  
ستار ، يا عليم يا جبار ، يا الله يا الله ، برحمتك يا ارحم الراحمين .

### آداب المعلم والمعلم

اما المعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ، ولكن تنظم تفاصيلها  
عشر جمل :

الوظيفة الاولى : تقديم طهارة القلب عن رذائل الاخلاق ، ومذموم  
الاواعض ، اذ العلم عبادة القلب ، وصلة السر ، وقربة الباطن الى  
الله تعالى ...

الوظيفة الثانية : ان يقلل علاقته من الاشتغال بالدنيا ، ويبعد عن  
الاهل والوطن ، فان العلائق شاغلة وصارفة ، وما جعل الله لرجل من

قلبين في جوفه . ومهما توزعت الفكرة ، قصرت عن درك الحقائق . ولذلك  
قيل : العلم لا يعطيك بعضه ، حتى تعطيه كلاه ...

الوظيفة الثالثة : ان لا يتکبر على العلم ، ولا يتأنى على المعلم ، بل  
يلقى اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ، ويذعن لنصيحته اذ عان  
المريض الجاهل للطبيب الشفق الحاذق . وينبغي ان يتواضع لعلمه ،  
ويطاب الثواب والشرف بخدمته ...

الوظيفة الرابعة : ان يحيى خاتم في العلم ، في مبدأ الامر ، عن  
الاصفاء الى اختلاف الناس ، سوا . كان ما خاض فيه من علوم الدنيا  
او من علوم الآخرة . فان ذلك يدهش عقله ، ويغير ذهنه ، ويقترب رأيه ،  
ويؤنسه عن الادراك والاطلاع . بل ينبغي ان يتقن اولاً الطريقة الحديدة  
الواحدة ، المرضية عند استاذه ، ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه .  
وان لم يكن استاذه مستقلًا باختيار رأي واحد ، وإنما عادته نقل المذاهب  
وما قيل فيها ، فليحذر منه ، فان اضلاته اكثُر من ارشاده ، فلا يصلح  
الاعمى لقود العيال ...

الوظيفة الخامسة : ان لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ،  
ولا نوعاً من انواعه ، الا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقاصده وغايته .  
ثم ان ساعدته العمر ، طلب التبعير فيه ، والا اشتغل بالاهم منه واستوفاه ،  
وتطرف من البقية ، فان العلوم متعاونة ، وبعضها مرتبطة ببعض ...

الوظيفة السادسة : ان لا يخوض في فن من فنون العلم دفعه ، بل  
يراعي الترتيب ، ويبيتني بالاهم . فان العمر ، اذا كان لا يتسع لجميع  
العلوم غالباً ، فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنها ، ويكتفى منه  
 بشيء ، ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم ،  
 الذي هو اشرف العلوم ، وهو علم الآخرة ، اعني قسمي المعاملة  
 والمكافحة . فغاية المعاملة المكافحة ، وغاية المكافحة معرفة الله تعالى .

ولست اعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي ورائته او تلقفها ، ولا طريق تحرير الكلام والجادلة في تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم ، كما هي غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين ، هو ثورة نور ، يقدّمه الله تعالى في قلب عبد ، طهر بالمجاهدة باطنه عن الجباث . . . فكن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ، ولا يرشدك إليه الا حرصك في الطلب . وعلى الجلة ، فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل ، وهو بمحلا لا يدرك منتهى غوره ، واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ، ثم الاولى . ثم الذين يلوثهم . . .

الوظيفة السابعة : ان لا يخوض في فن ، حتى يستوفي الفن الذي قبله .  
 الوظيفة الثامنة : ان يعرف المسبب ، الذي به يدرك اشرف العلوم .  
 وان ذلك يراد به شيئاً ، احدهما شرف الشرة ، والثاني وثاقة الدليل ، وقوته . وذلك كعلم الدين وعلم الطب ، فان ثمرة احدهما الحياة الابدية ، وثرة الآخر الحياة الفانية ، فيكون علم الدين اشرف . ومثل علم الحساب وعلم الطب ، فان علم الحساب اشرف لوثاقة اداته وقوتها . وان نسب الحساب الى الطب ، كان الطب اشرف باعتبار ثرته ، والحساب اشرف باعتبار اداته ، وملاحظة الشرة اولى . . .

الوظيفة التاسعة : ان يكون قصد المتعلم ، في الحال ، تحليمة باطنه وتجميده بالفضيلة ، وفي المال القرب من الله . . .  
 الوظيفة العاشرة : ان يعلم نسبة العلوم الى المقصود ، كجاينز الرفع القريب على بعيد ، والمهم على غيره . . .  
 وظائف المرشد المعلم : . . .

الوظيفة الاولى : الشفقة على المتعلمين ، وان يحررهم مجرى بنيه . . .  
 واما المعلم هو المفید للحياة الاخروية الدائمة ، اعني معلم علوم الآخرة ، او علوم الدنيا على قصد الآخرة ، لا على قصد الدنيا . فاما التعليم على

قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك ، نعوذ بالله منه . وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتعاونوا على المقصود كلها ، فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد . . .

الوظيفة الثانية : ان يقتدي بصاحب الشرع ، صلوات الله عليه وسلم ، فلا يطلب على افاده العلم اجرأ ، ولا يقصد به جزا ، ولا شكرأ ، بل يعلم لوجه الله تعالى ، وطلباً للتقرب اليه . ولا يرى لنفسه منه عليهم ، وان كانت المنة لازمة عليهم . . .

الوظيفة الثالثة : ان لا يدع من نصح المتعلّم شيئاً . . .

الوظيفة الرابعة ، وهي من دقائق صناعة التعليم : ان يزور المتعلّم عن سوء الاحراق ، بطريق التعریض ما امكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبیخ . فان التصریح یهتك حجاب الهيئة ، ويورث الجرأة على المجموع بالخلاف ، ويبیح الحرص على الاصرار . . .

الوظيفة الخامسة : ان المتکفل ببعض العلوم ینبغی ان لا یقبح ، في نفس المتعلّم ، العلوم التي وراثه ، كمعلم اللغة اذ عادته تتبع عالم الفقه . . .

الوظيفة السادسة : ان یقتصر بال المتعلّم على قدر فهمه ، فلا یلقي اليه ما لا یلعله عقله ، فینفره . . .

الوظيفة السابعة : ان المتعلّم القاصر ینبغی ان یلقى عليه الجلي اللائق به ، ولا یذكر له ان ورا . هذا تدقیقاً ، وهو يدخله عنه . فان ذلك یفترا رغبته في الجلي ، ويشوش عليه قلبه ، ويؤهم اليه البخل عنه ، اذ یظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق . فما من احد الا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله ، واسدهم حماقة ، واضعفهم عقلاء ، هو افرحهم بكمال عقله . . .

الوظيفة الثامنة : ان يكون المعلم عاملاً بعلمه ، فلا يكذب قوله  
فعله ...  
(الاحياء : ١ : ص ٣٦-٤٤)

### آفات النطاع وفوائد

وفي فوائد خمسة : الولد ، وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة المشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بين الفائدة الاولى الولد ، وهو الاصل ، وله وضع النكاح<sup>١)</sup> ، والمقصود ابقاء النسل ، وان لا يخلو العالم عن جنس الانس ، واما الشهوة خلقت باعثة مستحبة ...  
الفائدة الثانية التخزن عن الشيطان ، وكسر التوقان ، ودفع غرائب الشهوة ، وغض البصر ...  
الفائدة الثالثة ترويض النفس ، وابناسها بالمحالسة والنظر والملاعبة ،

اراحة للقلب ، وتفوية له على العبادة . فان النفس ملول ، وهي عن الحق نفور ، لانه على خلاف طبعها ، فلو كلفت المداومة بالاكراد على ما يخالفها جحث وثابت ، واذا روتت بالذرات في بعض الاوقات قويت ونشطة . وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ، ويروح القلب ، وينفع ان يكون لنفس المتدين استراحات بالمباحات ...

الفائدة الرابعة تفريغ القلب عن تدبير المنزل ، والتکفل بشغل الطبع والكنس والفرش وتنظيف الاواني ، وتهيئة اسباب المعيشة ...  
الفائدة الخامسة مجاهدة النفس ورياضتها بالرعائية والولاية ، والقيام بحقوق الاهل ، والصبر على اخلاقهن ، واحتلال الاذى منهن ، والسعى

١) النكاح هو الزواج الشرعي .

في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين ، والاجتهد في كسب الحلال لاجلهن ، والقيام بتربيته لاولاده . فكل هذه اعمال عظيمة الفضل ...  
اما آفات النكاح فثلاث :

الاولى ، وهي اقواها ، العجز عن طلب الحلال . فان ذلك لا يتيسر لكل احد ، لا سيما في هذه الاوقات ، مع اضطراب المعيش ، فيكون النكاح سبباً في التوسع للطلب ، والاطعام من الحرام ، وفيه هلاكه وهلاك اهله . والمتزوج في امن من ذلك ، واما المتزوج ففي الاكثر يدخل في مداخل السوء . فيتبع هو زوجته ، ويبيع آخرته بدنياه ...  
الآفة الثانية القصور عن القيام بجسدهن ، والصبر على اخلاقهن ، واحيال الاذى منهن . وهذه دون الاولى في العموم ، فان القدرة على هذا ايسر من القدرة على الاولى . وتحسين الخلق مع النساء ، والقيام بمحظوظهن اهون من طلب الحلال ...

الآفة الثالثة ، وهي دون الاولى والثانية ، ان يكون الاهل والولد شاغلاً له عن الله تعالى ، وجاذباً له الى طلب الدنيا ، وحسن تدبير المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال ، وادخاره لهم ، وطلب التفاخر والتکاثر بهم . وكل ما شغل عن الله من اهل ومال فهو مشؤوم على صاحبه . ولست اعني بهذا ان يدعوا الى محظوظ ، فان ذلك مما ادرج تحت الآفة الاولى والثانية ، بل ان يدعوه الى التنعم بالمال ، بل الى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن ، والامان في التنمیع بهن ...

فهذه مجتمع الآفات والفوائد . فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او الغزوبة مطلقاً قصور عن الاخاطة بمجامع هذه الامور . بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبراً ومحكماً ، ويعرض المريد عليه نفسه ، فان انتفت في حقه الآفات ، واجتمعت الفوائد ، بان كان له مال حلال ، وخلق حسن ، وجد في الدين قام لا يشغله النكاح عن

الله ، وهو مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ، ومنفرد يحتاج الى تدبير المثل والتحصن بالعشيرة ، فلا يُبارى في ان النكاح افضل له ، مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد . فان انتفت الفوائد، واجتمع الآفات ، فالغزوبة افضل له . وان تقابل الامران ، وهو الغالب ، فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه، وحظ تلك الآفات في التقصان منه ، فاذا غالب على الفتن رجحان احدهما حكم به . واظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة ، واظهر الآفات الحاجة الى كسب الحرام ، والاستغفال عن الله .

( الاحياء : ربع العادات : الكتاب الثاني )

### معرفة عيوب النفس

اعلم ان الله ، عز وجل ، اذا اراد بعد خيرا ، بصره بعيوب نفسه . فنـ كانت بصيرته نافذة ، لم تخـف عليه عيوبه ، فاذا عـرف العيوب امـكـنه العلاج . ولكن اكـثر الـخلقـ جـاهـلـون بـعيـوبـ اـنـفـسـهـمـ ، يـرىـ اـحـدـهـمـ الـقـذـىـ فيـ عـيـنـ اـخـيـهـ ، ولا يـرىـ الـجـذـعـ فيـ عـيـنـ نـفـسـهـ . فـنـ اـرـادـ انـ يـعـرـفـ عـيـوبـ نـفـسـهـ ، فـلـهـ اـرـيـعـةـ طـارـقـ : الاول : ان يـجـلـسـ بـيـنـ يـدـيـ شـيـخـ بـصـيرـ بـعـيـوبـ النـفـسـ ، مـطـلـعـ عـلـىـ خـفـاـيـاـ الـآـفـاتـ ، وـيـحـكـمـ فـيـ نـفـسـهـ ، وـيـتـبعـ اـشـارـتـهـ فـيـ مـجـاهـدـتـهـ . وـهـذـاـ شـأـنـ المـرـيدـ مـعـ شـيـخـهـ ، وـتـالـمـيـدـ مـعـ اـسـتـاذـهـ ، فـيـعـرـفـ اـسـتـاذـهـ وـشـيـخـهـ عـيـوبـ نـفـسـهـ ، وـيـعـرـفـ طـارـقـ عـلـاجـهـ . وـهـذـاـ قـدـ عـزـ فـيـ هـذـاـ الزـمـانـ وـجـودـهـ . الثاني : ان يـطـلـبـ صـدـيقـاـ صـدـوقـاـ ، بـصـيرـاـ مـتـدـيـنـاـ ، فـيـنـصـبـ رـقـيـاـ عـلـىـ نـفـسـهـ ، لـيـلـاحـظـ اـحـوالـهـ وـافـعـالـهـ ، فـاـ كـرـهـ مـنـ اـخـلـاقـهـ وـافـعـالـهـ ، وـعـيـوبـهـ الـبـاطـنـةـ وـالـظـاهـرـةـ ، يـنـبـهـ عـلـيـهـ . . . . .

الثالث : ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة اعدائه ، فـانـ عـيـنـ السـخطـ تـبـدـيـ المـساـواـيـاـ . . . . .

الرابع : ان يخالط الناس ، فكل ما رأه مذموماً فيما بين الخلق ،  
فليطلب نفسه به ، وينسبها اليه .  
( الاحياء : رب المخلقات : كتاب رياضة النفس )

### رياضة المريد

ان له شرطاً لا بد من تقديمها في بداية الارادة ، وله معتصم لا  
بد من التمسك به ، وله حصن لا بد من التحصن به لامن من الاعدا .  
القطاع لطريقه ، وعليه وظائف لا بد من ملزمهها في وقت سلوك  
الطريق .

اما الشروط ، التي لا بد من تقديمها في الارادة ، فهي رفع السد  
والحجاب ، الذي بينه وبين الحق ... والسد بين المريد وبين الحق اربعة :  
المال ، واسلاه ، والتقليد ، والمعصية .

واما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه ، حتى لا يبقى له الا  
قدر الضرورة ، فا دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه ، فهو مقيد به ،  
محجوب عن الله عز وجل .

واما يرتفع حجاب اجلاء بالبعد عن موضع اجلاء ، بالتواضع وايثار  
الحول ، والهرب من اسباب الذكر ، وتعاطي اعمال تغفر قلوب الخلق عنه .  
واما يرتفع حجاب التقليد ، بان يترك التعصب للمذاهب ... فان

غلب عليه التعصب لعتقده ، ولم يبق في نفسه منسع لغيره ، صار ذلك  
قيداً له وحجابة ، اذ ليس من شرط المريد الانتهاء الى مذهب معين اصلاً .

اما المعصية فهي حجاب ، ولا يرفها الا التوبة ، والخروج من  
المظالم ، وتصنيع العزم على ترك العود ، وتحقيق الندم على ما مضى ...

ف اذا قدم هذه الشروط الاربعة ... يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي  
به ... فاذا وجد مثل هذا المعتصم ، وجب على معتصمه ان يحييه ،

ويعصمه بحصن حصين ، يدفع عنه قواطع الطريق ، وهو اربعة امور :  
الخلوة والصمت والجلوع والسر .. .

واما الجلوع فانه ينقض دم القلب وبياضه ، وفي بياضه نوره ،  
ويذيب شحم الفؤاد ، وفي ذوبانه رقته ، ورقته مفتاح المكافحة ...  
وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ، جوعوا بطونكم ، لعل  
قلوبكم ترى ربكم ... .

واما السر فانه يخلو القلب ويصفيه ، وينوره ، فيضاف ذلك الى  
الصفاء الذي حصل من الجلوع ... .

واما الصمت فانه تسهله العزلة ، ولكن المعذل لا يخلو عن مشاهدة من  
يقوم له بطعمه وشرابه وتدبیر امره ، فينبغي ان لا يتكلم الا يقدر  
الضرورة ، فان الكلام يشغل القلب ، وشره القلوب الى الكلام عظيم ...  
واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل ، وضبط السمع والبصر ، فانها  
دهليز القلب ، والقلب في حكم حوض ، تنصب اليه مياه كريهة  
كدرة قدرة من انوار الحواس ، ومقصود الرياضة تفریغ الحوض من تلك  
المياه ، ومن الطين الخاصل منها ، ليتفجر اصل الحوض ، فيخرج منه الماء  
النظيف الظاهر ... وليس يتم ذلك الا بالخلوة في بيت مظلم ، وان لم  
يكن له مكان مظلم ، فليلف رأسه في جيبه ، او يتذرّ بكسا او  
ازار ، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ، ويشاهد جلال الحضرة  
الربوية ... .

فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع ، وتنبع العوارض  
القاطعة للطريق ، فاذا فعل ذلك ، اشتعل بعده بسلوك الطريق . واما  
سلوكه بقطع العقبات ، ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب ،  
التي سببها الانفاقات الى الدنيا ... .

( الاحياء : رب الملائكة : كتاب رياضة النفس )

## ذم الفسق وصلاح الفقر

اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الفقير الشاكر على الفقير الصابر، وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد<sup>١)</sup> ، وكشفنا عن تحقيق الحق فيه . ولكننا في هذا الكتاب ندل على ان الفقر افضل واعلى من الفسق على الجملة ، من غير التفات الى تفصيل الاحوال . ونقتصر فيه على حكاية فصل ، ذكره الحرس الحاسبي في بعض كتبه ، في الرد على بعض العلامة من الاغنياء ، حيث احتاج باغشياه الصحابة ، وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف ، وشبه نفسه بهم ...

قال ، بعد كلام له في الرد على علماء السوء : بلغنا ان عيسى ابن مريم عليه السلام قال :

« يا علماء السوء ، تصومون وتصلون وتصدقون ، ولا تفعلن ما تزمرون ، وتدرسون ما لا تعلمون ، فيما سوء ما تحكمون . تتوبون بالقول والامانة ، وتعلمون بالهوى ، وما يغنى عنكم ان تنعوا جلودكم ، وقلوبكم دنسة . بحق اقول لكم ، لا تكونوا كالذين ، يخرجون منه الدقيق الطيب ، وتبقى فيه النخالة . كذلك انتم تخرون الحكم من افواهكم ، ويبقى الفل في صدوركم . يا عبيد الدنيا ، كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهورته ، ولا تقطع منها رغبته . بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم . جعلتم الدنيا تحت السننكم ، والعمل تحت اقدامكم . بحق اقول لكم ، افسدتم آخرتكم ، فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة ، فاي الناس اخسر منكم لو تعلموه . ويلكم حرام تصفون الطريق للمدحدين ، وتقيمون في محل

١) هو كتاب من ربعة المنجيات

المتحيرين ، كأنكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم ؟ مهلا ، مهلا !  
وilyكم ، ماذا يعني عن اليت المظلوم ان يوضع السراج فوق ظهره ،  
وجوفه موحش مظلم . كذلك لا يعني عنكم ان يكون نور العلم  
بافواهكم ، واجوافكم منه موحشة معطلة . يا عبيد الدنيا ، لاكميد  
اتقنا ، ولا كاحرار كرام ، توشك الدنيا ان تقاعكم عن اصولكم ،  
فتلقيكم على وجوهكم ، ثم تكبّكم على مناشركم ؟ ثم تأخذ خطاياكم  
بنواصيكم ، ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان  
عراة فرادي ، فيوقفكم على سواتكم ، ثم يجزيكم بسواء اعمالكم .  
ثم قال الحرش ، رحمة الله : اخواي ، فهو لا ، عليا ، السو ، شياطين  
الانس ، وفتنة على الناس ، رغبوا في عرض الدنيا ورفتها ، وآتوكما  
على الآخرة ، واذلاوا الدين للدنيا .

( الاحياء : رب المخلقات : كتاب ذم حب المال )

### المرسا

الرياه طلب المزلة في قلوب الناس ، بايرانهم خصال الحبirs ... والمرادى  
به كثير ، وتحبّه خمسة اقسام ... : البدن ، والذى ، والقول ، والعمل ،  
والاتباع والاشيا ، الخارجـة ...

القسم الاول الرياه في الدين بالبدن . وذلك باظهار النجول ، والصفار ،  
ليوهم بذلك شدة الاجتهد ، وعظم الحزن على امر الدين ، وغلبة خوف  
الآخرة ، وليدل بالنجول على قلة الاقل ، وبالصفار على سهر الليل ...  
وكذلك يواني بتشعث الشعر ، ليدل به على استغراق الهم بالدين ،  
وعدم التفرغ لسرير العـشـر ... ويقرب من هذا خفض الصوت ، واغارة  
العينين ، وذبول الشفتين ، ليستدل بذلك على انه مواطن على الصوم ،

وان وقار الشرع هو الذي خفف من صوته ، او ضعف الجموع هو الذي ضعف من قوته . وعن هذا قال المسيح ، عليه السلام : اذا صام احدكم ، فليذهب رأسه ، ويتجمل شعره ، ويكمّل عينيه ...

الثاني الرياء بالهيئة والزي . اما الهيئة فتشتمل على الشارب ، واطلاق الرأس في المثي ، والهدوء في الحركة ، وابقاء اثر السجود على الوجوه ، وغلوظ الثياب ، ولبس الصوف ، وتشيرها الى قريب من الساق ، وتقدير الاكمام ، وترك تنظيف الثوب ، وتركه مخرقا ... والمراؤون بالزي على طبقات . فنهم من يطلب المزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد ، فيلبس الثياب المخربة ، الوسخة ، القصيرة ، الغليظة ، ليراهنى بغلظتها ووسختها وقصرها وتخرقها انه غير مكترث بالدنيا ، ولو كلف ان يلبس ثوباً وسطأً نظيفاً ، ما كان السالف يلبسه ، لكان عنده مزلة الذبح ... وطبة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح ، وعند اهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ، ... فلذاك يطلبون الاصوات الدقيقة ، والاكسيه الرقيقة ، والمرقعات المصبوغة ، والفوط الرقيقة ، فيلبسوها . ولعل قيمة ثوب احدهم قيمة ثوب احد الاغنياء ، ولو نهته لون ثياب العلما ، فيلتبسون القبول عند الفريقين ...

الثالث الرياء بالقول . ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير ، والنطق بالحكمة ، وحفظ الاخبار والآثار ، لاجل الاستعمال في المحاوره ... وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بشهاد الحق ، واظهار الغضب للمنكرات ، واظهار الاسف على مقاومة الناس للمعاصي ، وتضييف الصوت في الكلام ، وترقيق الصوت بقراءة القرآن ...

الرابع الرياء بالعمل . كبراءة المصلي بطول القيام ، ومد الظهر ، وطول السجود والركوع واطلاق الرأس ، وترك الالتفاقات ، واظهار الهدوء

والسكون ، وتسوية القدمين واليدين . . . وبالأخبات في المشي عند اللقاء ،  
كارخا ، الجفون ، وتنكيس الرأس ، والوقار في الكلام ، حتى ان المرانى  
قد يسرع في المشي الى حاجته ، فاذا طلع عليه احد من اهل الدين ،  
رجع الى الوقار ، واطراق الرأس . . .

الخامس المرأة بالاصحاب ، والزائرين ، والمحاطين . كذلك يتكلف  
ان يستثير عالماً من العلية ، ليقال ان فلاناً زار فلاناً ، او عابداً من  
الباد ، ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارتة ويترددون اليه ، او ملكاً  
من الملوك او عاملًا من عمال السلطان ، ليقال انهم يتبركون به ، اعظم  
رتبته في الدين<sup>(١)</sup> . . .

فهذه مجتمع ما يراني به المراوون ، وكاهم يطلبون بذلك اجاه والمترفة  
في قلوب العباد .

( الاحياء : ربع الملكلات : كتاب ذم اجاه والرياء )

### علاج حب اجاه

ان من غالب على قلبه حب اجاه عار مقصور الهم على مراعاة الخلق ،  
مشغوفاً بالتودد اليهم ، والمرأة لاجلهم . . . فحب الجاه اذا من  
الملكلات ، فيجب علاجه وازالتة عن القلب . . . وعلاجه مركب من  
علم وعمل .

اما العالم فهو ان يعلم السبب الذي لا جله احب اجاه ، وهو كمال  
القدرة على اشخاص الناس ، وعلى قلوبهم . وقد يبين ان ذلك ، ان  
صفا وسلم ، فآخره المорт ، فليس هو من الباقيات الصالحة . بل لو

(١) ان ما يسرده الغزالي من مظاهر الرياء ، هو ايضاً ، في بعضه ، من مظاهر  
الفضيلة الصحيحة . واغا الفرق في النية .

سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب ، فالي خمسين  
سنة لا يبقى الساجد ولا المسجد له ...

وابصار اكثـر الـخلق ضعـيفة ، مقصورة عـلـى العـاجـلة ، لا يـتـمـدـ نورـها  
الـى مشـاهـدة الـعـاـقـب ... فـنـ هـذـا حـدـهـ فيـنـيـغـيـ انـ يـعـالـجـ قـلـبـهـ منـ حـبـ  
الـاجـاهـ بـالـعـلـمـ بـالـآـفـاتـ الـعـاجـلةـ ، وـهـوـ انـ يـتـفـكـرـ فيـ الـاخـطـارـ الـيـ  
يـسـتـهـدـفـ هـاـ اـرـبـابـ اـجـاهـ فـيـ الدـنـيـاـ ، فـانـ كـلـ ذـيـ جـاهـ مـحـسـودـ وـمـقـصـودـ بـالـايـذـاءـ ،  
وـخـافـعـ عـلـىـ الدـوـامـ عـلـىـ جـاهـهـ ، وـمـحـتـزـ منـ انـ تـغـيـرـ مـاـزـلـتـهـ فـيـ القـلـوبـ ،  
وـالـقـلـوبـ اـشـدـ تـغـيـرـاـ مـنـ الـقـدـرـ فـيـ غـلـيـانـهاـ ، وـهـيـ مـتـرـدـدـ بـيـنـ الـاقـبـالـ  
وـالـاعـراـضـ ، فـكـلـ ماـ يـبـيـنـ عـلـىـ قـلـوبـ الـخـلـقـ يـضـاهـيـ ماـ يـبـيـنـ عـلـىـ اـمـواـجـ  
الـبـحـرـ ، فـانـهـ لـاـ ثـبـاتـ لـهـ . وـالـاشـتـغالـ بـرـاـءـةـ القـلـوبـ ، وـحـفـظـ اـجـاهـ ،  
وـدـفـعـ كـيدـ الحـسـدـ ، وـمـنـعـ اـذـىـ الـادـعـاءـ ، كـلـ ذـلـكـ غـمـومـ عـاجـلةـ ،  
وـمـكـدـرـةـ لـلـذـةـ اـجـاهـ ...

وـاماـ مـنـ حـيـثـ الـعـلـمـ فـاسـقـاطـ اـجـاهـ عـنـ قـلـوبـ الـخـلـقـ بـمـباـشرـةـ اـفـعـالـ  
يـلـامـ عـلـيـهـ ... وـلـاـ يـبـوـزـ لـهـ اـنـ يـقـدـمـ عـلـىـ مـحـظـورـ لـاـجـلـ ذـلـكـ ، بـلـ لـهـ اـنـ  
يـفـعـلـ مـنـ الـمـبـاحـاتـ مـاـ يـسـقطـ قـدـرهـ عـنـدـ النـاسـ .

( الـاحـيـاءـ : رـبـ الـمـلـاـكـاتـ : كـتـابـ ذـمـ اـجـاهـ وـالـرـيـاـ )

### رواية الطهير

انـ الحـسـدـ مـنـ الـاـمـراضـ الـعـظـيـمةـ لـلـقـلـوبـ ، وـلـاـ قـدـاوـيـ اـمـراضـ القـلـوبـ  
اـلـاـ بـالـعـلـمـ وـالـعـلـمـ .

والـعـلـمـ النـافـعـ لـمـرضـ الحـسـدـ هوـ انـ تـعـرـفـ تـحـقـيقـاـ انـ الحـسـدـ ضـرـرـ  
عـلـيـكـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـدـيـنـ ، وـاـنـهـ لـاـ ضـرـرـ فـيـهـ عـلـىـ الـمـسـودـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـدـيـنـ ،  
بـلـ يـتـنـفعـ بـهـ فـيـهـ .. وـمـهـاـ عـرـفـتـ ذـلـكـ عـنـ بـصـيـرـةـ ، وـلـمـ تـكـنـ عـدـوـ  
نـفـسـكـ ، وـصـدـيقـ عـدـوكـ ، فـارـقـتـ الحـسـدـ لـاـ مـاـ حـالـةـ .

اما كونه ضرراً عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاة الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده ، وعدله الذي اقامه في ملكه بمنفي حكمته ، فاستنكرت ذاك ، واستبعسته ، وهذه جنائية ...  
واما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو انك تتألم بحسدك في الدنيا ، او تتذمّب به ، ولا تزال في كد وغم ، اذ اعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يغيبها عليهم ، فلا تزال تتذمّب بكل نعمة تراها ، وتتألم بكل بليلة تصرف عنهم ، فتبقى مغموماً محروماً ، متشعب القلب ضيق الصدر ، قد نزل بك ما يشتهي الاعداء لك ، وتشتهي لاعدائك . فقد كنت ت يريد الحسنة اعداؤك ، فتتجزّت في الحال محنتك وغضنك نقداً . ومع هذا فلا تزول النعمة عن الحسود بحسدك ...

واما انه لا ضرر على الحسود في دينه ودنياه فواضح ، لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك ، بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمه فلا بد ان يدوم الى اجل معلوم ... ولذلك شكا النبي من الانيا . من امرأة ظالمة مستولية على الخلق ، فاوصى الله اليه : فر من قدامها حتى تنتهي ايامها ... ومهما لم تزول النعمة بالحسد ، لم يكن على الحسود ضرر في الدنيا ، ولا يكون عليه اثم في الآخرة . ولعلك تقول : ليت النعمة كانت تزول عن الحسود بحسدي ! وهذا غاية الجهل ، فانه بلا تشتهي اولاً لنفسك ، فانك ايضاً لا تخاف عن عدو يحسدك ، فلو كانت النعمة تزول بالحسد ، لم يبق لله تعالى عليك نعمة ، ولا على احد من الخلق ، ولا نعمة الايان ايضاً ، لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايان ...  
وان اشتئيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ، ولا تزول عنك بحسد غيرك ، فهذا غاية الجهل والنباوة ، فان كل واحد من حمقى الحساد ايضاً يشتهي ان يخوض بهذه الخاصية ، ولست بأولى من غيرك ...  
واما ان الحسود ينفع به في الدين والدنيا فواضح . اما منفعته في

الدين فهو انه مظلوم من جهتك ، لاسيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغبية ، والقدح فيه ، وتهتك ستره ، وذكر مساوئه ... واما منفعته في الدنيا فهو ان اهتم اغراض الحلق مساواة الاعداء ، وغثيم وشقاوتهم وكونهم معذبين معمومين ، ولا عذاب اشد مما انت فيه من الم الحسد . وغاية امامي اعدائك ان يكونوا في نعمة ، وان تكون في غم وحسرة بسيبهم ، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم . ولذلك لا يشتهي عدوك موتك ، بل يشتهي ان تطول حياتك ، ولكن في عذاب الحسد ، لتنظر الى نعمة الله عليه فینقطع قلبك حسدا ، ولذلك قيل :

لَا ماتْ اعْدَاؤُكْ ، بَلْ خَلَدُوا حَقِّ يَرَوْا فِيكَ الَّذِي يَكْسِدُ  
لَا زَلتْ مُحْسُودًا عَلَى نَعْمَةٍ فَإِنَّ الْكَامِلَ مِنْ يُحْسَدُ .

واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد ، فكل ما يتقاده الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقشه . فان بعثه الحسد على القدح في محسوده كألف لسانه المدح له والثناء عليه ، وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له ، والاعتذار اليه . وان بعثه على كف الانعام عليه ، الزم نفسه الزيادة في الانعام عليه . فهذا فعل ذلك عن تكليف ، وعرفه المحسود ، طاب قلبه واحبه ، ومهما ظهر حبه عاد الحسد فاحبه ، وتولد من ذلك المواقفة التي تقطع مادة الحسد ، لأن التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمه يستجلب قلب المنعم عليه ، ويسترقه ، ويستطعنه ، ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ... فهذه هي ادوية الحسد ، وهي نافعة جدا ، الا انها مرة على القاوب جدا . ولكن النفع في الدواء المر !

( دين الملائكة : الحسد )

## التوكل

التوكل عبارة عن اعتقاد القلب على الوكيل وحده . . . فان ثبتت في نفسك ، بكشف او باعتقاد جازم ، انه لا قادر الا الله ، كما سبق ، واعتقدت مع ذلك قام العلم ، والقدرة على كفاية العباد ، ثم قام العطف والعناية والرحمة بجميلة العباد والآحاد ، وانه ليس وراء متنمي قدرته قدرة ، ولا وراء متنمي علمه علم ، ولا وراء متنمي عنایته بك ورحمته لك عنایة ورحمة ، اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ، ولم يلتفت الى غيره بوجه ، ولا الى نفسه وحوله وقوته ، فانه لا حول ولا قوة الا بالله . . .

وإذا انكشف لك معنى التوكل ، وعلمت الحالة التي سميت توكلًا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف تلات درجات :

الدرجة الأولى . . . ان يكون حاله في حق الله تعالى ، والثقة بكتابه وعنته ، كحاله في الثقة بالوكيل .

الثانية ، وهي اقوى ، ان يكون حاله مع الله تعالى ، كحال الطفل مع امه . فانه لا يعرف غيرها ، ولا يفزع الى احد سواها ، ولا يعتمد الاها ، فإذا رأها تعلق في كل حال بذيلها ، ولم يخلها ، وان نابه امر في غيتها ، كان اول سابق الى لسانه : يا اماما ! . . .

الثالثة ، وهي اعلاها ، ان يكون بين يدي الله تعالى ، في حركاته وسكناته ، مثل الميت بين يدي الفاسل ، لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا ، تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الفاسل الميت . وهو الذي قوي يقنه بأنه مجرى للحركة القدرة والارادة والعلم وسائر الصفات ، وان كلاما يحدث جبرا ، فيكون بذلك عن الانتظار لما يجري عليه . وينافق الصي ، فان الصي يفزع الى امه ، ويصبح ، ويتعلق بذيلها ، ويعدو خلفها . بل هو مثل صبي علم انه ، وان لم يزعق بامه ، فالام تطلبها ، وانه

وان لم يتعلق بديل امه ، فالم تحله ، وان لم يسألها الابن ، فالم تقايده  
وتسقيه . وهذا المقام في التوكيل يشر ترك الدعا ، والسؤال منه ، نفحة  
بكرمه وعانته ، وانه يعطي ابتداء افضل مما يسأل .

(الاحياء : ربع المنجيات : كتاب التوكيل )

### محبة الله

ان الحبة لله هي النهاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من  
الدرجات . فما بعد ادراك الحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها ، وتتابع من  
توا بها ، كالشوق والانس والرضى واخواتها . ولا قبل الحبة مقام الا  
وهو مقدمة من مقدماتها ، كالتوبه والصبر والزهد وغيرها .

وسائل المقامات ، ان عز وجودها ، فلم تخل القلوب عن الایان  
بامكانها . واما محبة الله تعالى فقد عز الایان بها ، حتى انكر بعض  
العلماء امكانها ، وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى . واما  
حقيقة الحبة ف الحال الا مع الجنس والمثال . ولما انكروا الحبة ، انكروا  
الانس والشوق ولذة المتابحة ، وسائل لوازم الحب وتوابعه . ولا بد من  
كشف الغطاء عن هذا الامر . ونحن نذكر ... بيان شواهد الشرع في  
الحبة ، ثم بيان حقيقتها واسبابها ، ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله  
تعالى ...

### ١ - شواهد الشرع

اعالم ان الامة مجتمعة على ان الحب لله تعالى ، ولو سول الله صلي الله  
عليه وسلم ، فرض . وكيف يفرض ما لا وجود له؟ وكيف يفسر الحب  
بالطاعة ، والطاعة تبع الحب وثمرته ، فلا بد وان يتقدم الحب ، ثم بعد  
ذلك يطيع من احب .

ويidel على اثبات الحب الله تعالى قوله ، عز وجل : «يحبهم ويحبونه» ،  
وقوله تعالى : «والذين آمنوا أشد حباً له» ، وهو دليل على اثبات الحب ،  
واثبات التفاوت فيه ...

وفي الخبر المشهور ان ابراهيم ، عليه السلام ، قال ملك الموت ، اذ  
جاءه لقبض روحه : هل رأيت خليلاً يميت خليفه ؟ فاوصى الله تعالى اليه :  
هل رأيت محبًا يكره لقاء حبيبه ؟ فقال : يا ملك الموت ، الان فاقبض ا  
ويروى ان عيسى ، عليه السلام ، من ثلاثة نفر ، قد نحلت ابدانهم ،  
وتقييت اوابتهم ، فقال : ما الذي بلغ بكم ما ارى ؟ فقالوا : الحروف من  
الدار . فقال : حق على الله ان يؤمن الحافظ . ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرين ،  
ف اذا هم اشد نحوًا وتغييرًا ، فقال : ما الذي بلغ بكم ما ارى ؟ قالوا :  
السوق الى الجنة . فقال : حق على الله ان يعطيكم ما ترجون . ثم جاوزهم  
الى ثلاثة آخرين ، ف اذا هم اشد نحوًا وتغييرًا ، كان على وجوههم المرادي  
من النور ، فقال : ما الذي بلغ بكم ما ارى ؟ قالوا : نحب الله ، عز  
وجل . فقال : انتم المقربون ، انتم المقربون ! ...

## ٢ - حقيقة المحبة واسبابها

اول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة ، الا بعد معرفة  
وادرارك ، اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ...

الاصل الثاني ان الحب ، لما كان تابعاً للادراك والمعرفة ، انقسم لا  
محالة ، بحسب انقسام المدركات والحواس . فما كل حاسة ادراك لنوع من  
المدركات ، ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات . . . قال رسول الله ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «حَبَّبَ إِلَيْهِ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ : الطَّيِّبُ وَالنَّاسُ وَالصَّلَاةُ ،  
وَجَعَلَ قَرْةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ . . . » فستى الطيب محبوبًا ، و معلوم انه لا حظ  
للين والسمع فيه ، بل للشّم فقط . و سئى النساء ، محبوبات ، ولا حظ فيهن

الا للبصر والسمس ، دون الشم والذوق والسمع . وسئى الصلة قرة عين ،  
وجعلها ابلغ المحبوبات ، وعلمه انه ليس تحظى بها الحواس الحسن ، بل  
حسن السادس ، مظنه القلب ، لا يدركه الا من كان له قلب . ولذات  
الحسن تشارك فيها البشارة الانسان ، فان كان الحب مقصوراً على  
مدركات الحواس الحسن ، حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحسن ،  
ولا يتثنى بالخيال ، فلا يجب ، فإذا قد بطلت خاصية الانسان ، وما تميز  
به من الحسن السادس ، الذي يعبر عنه اما بالعقل ، او بالنور او بالقلب ...  
فلا ينكر اذا حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البشارة ...

ترجع اسباب الحب الى خمسة اسباب : وهو حب الانسان وجود  
نفسه ، وكامله وبقاءه، وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ،  
ويعين على بقائه ، ودفع المهملات عنه ؛ وحبه من كان محسناً في نفسه  
الى الناس ، وان لم يكن محسناً اليه ، وحبه لكل ما هو جميل في ذاته ،  
سواء كان من الصور الظاهرة او الباطنة ؛ وحبه لمن يليه وبينه مناسبة  
خفية في الباطن . فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد ، تضاعف  
الحب لا محالة ... فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال ،  
كان الحب لا محال في اعلى الدرجات . فلتبين الان ان هذه الاسباب  
كما لا يتصور كمالها واجتناعها الا في حق الله تعالى ، فلا يستحق الحبة  
بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى .

### ٣ - لا يستحق للمحبة الا الله

لامحوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى ، ولا يستحق  
المحبة سواه . وايضاحه بان ترجع الى الاسباب الخمسة ، التي ذكرناها ،  
ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بمحبتها ، ولا يوجد في غيره الا آحادها ،  
وابها حقيقة في حق الله ، ووجودها في حق غيره وهم وتخيل ...

فاما السبب الاول ، وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودومام وجوده ، وبغضه هلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله ، فهذه جبلة كل حي ، ولا يتصور ان ينفك عنها . وهذا يقتضي غاية الحبة لله تعالى ، فان من عرف نفسه ، وعرف ربه ، عرف تطعاً انه لا وجود له من ذاته ، وإنما وجود ذاته ، ودومام وجوده ، وكامل وجوده ، من الله ، والى الله ، وبالله ... .

والسبب الثاني ، وهو حبه من احسن اليه ، ... . يقتضي ان لا يجب الا الله تعالى . فانه لو عرف حق المعرفة ، لعلم ان الحسن اليه هو الله تعالى فقط ... .

والسبب الثالث ، وهو حبك المحسن في نفسه ، ... . يقتضي حب الله تعالى ، بل يقتضي ان لا يجب غيره اصلاً ، الا من حيث يتعلق منه بسبب . فان الله هو الحسن الى الكافة ، والمفضل على جميع اصناف الخلائق ... .

واما السبب الرابع ، وهو حب كل جيل لذات المجال ، لا لحظة يتأتى منه وراء ادراك المجال ، فقد يتنا ان ذلك محبوب في الطابع . وان ... جمال صفات الصديقين ، الذين تحبهم القلوب طبعاً ، ترجع الى ثلاثة امور : احدها عالمهم بالله وملائكته ... . والثانية قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة . والثالثة تزهفهم عن الرذائل والخواص ... . فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى :

اما العلم فain علم الاولين والآخرين من علم الله ؟ ... .

واما صفة القدرة فهي ايضاً كمال ... . ولا حول ولا قوة الا بالله ... .

واما صفة التزه عن العيوب والتقاuchi ... . فلا يتصور كمال التقدس والتزه الا للواحد الحق ... .

واما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكحة ، لأن شبه الشيء

منجذب اليه ، والشكل الى الشكل اميل ... ولذلك ... قال (النبي) :  
 « الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها اختلف ، وما تناكر منها  
 اختلف » ... وهذا السبب ايضاً يتنفس حب الله تعالى ، لمناسبة باطننة ...  
 وهذه هي المعلومة من اسباب الحب ، وجملة ذلك متظاهرة في حق  
 الله تعالى ، تتحقق لا مجازاً ، وفي اعلى الدرجات لا في ادنها .  
 ( الاحياء : ربيع المنجبات : كتاب المحبة )

### الأهم من

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره . فإذا صفا عن شوبه وخلص  
 عنه ، سمي خالصاً . ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصاً ... ومن كان  
 غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ...  
 واما نتكلم الان فيمن انبثت لقصد التقرب ، ولكن امتهج بهذا  
 الباعث باعث آخر ، اما من الرياء ، او من غيره من حظوظ النفس .  
 ومثال ذلك ان ... يحيى ، ليصبح مزاجه بحركة السفر ، او يتخلص من  
 شر يعرض له في بلده ، او ليهرب عن عدو في منزله ، او يتبرم باهله  
 وولده ، او بشغل هو فيه ، فاراد ان يستريح منه اياماً ... او يتعلم العلم  
 ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال ... او توضاً لينتظر او يتبرد ، ..  
 او يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير ، ويدرك به ، وينظر اليه بعين  
 الصلاح والوقار ...

فهذا كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ، ولكن اضاف اليه خطرة  
 من هذه المخدرات ، حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور ،  
 فقد خرج عمله عن حد الاخلاص ، وخرج عن ان يكون خالصاً لوجه الله  
 تعالى ، وقطر اليه الشرك . وقد قال تعالى : انا اغنى الشركاء عن الشرك .  
 وبالمجملة كل حظ من حظوظ الدنيا ، تستريح اليه النفس ، ويعيل

إليه القلب، قلَّ أَمْ كَثُرَ، إِذَا تطَرَّقَ إِلَى الْعَمَلِ، تَكَدِّرُ بِهِ صَفَوَهُ، وَزَالَ  
بِهِ الْخَلَاصُهُ . والانسان مرتبط في حضوره، منغمس في شهواته ، قلما ينفك  
 فعل من افعاله ، وعبادة من عباداته ، عن حضوره لحظة واحدة ، خالصة لوجه  
 الاجناس . فلذلك قيل : من سلم له من عمره لحظة واحدة ، خالصة لوجه  
 الله ، نجا ! وذلك لمَعْزَةِ الْأَخْلَاصِ ، وعسر تقيية القلب عن هذه الشوائب .  
 بل الخالص هو الذي لا باعث عليه الا طلب التقرب من الله تعالى ...  
 وهذا لا يتصور الا من محب الله ، مستهتر بالله ، مستغرق الهم بالآخرة ،  
 بحيث لم يبقَ لَبَ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ قَرَارٌ . حتى لا يحب الأكل والشرب  
 ايضاً ، بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضا ، الحاجة ، من حيث انه  
 ضرورة الحيلة ، فلا يشتهي الطعام لانه طعام ، بل لانه يقويه على عبادة  
 الله تعالى ... فمثل هذا الشخص لو أكل ، او شرب ، ... كان خالص  
 العمل ، صحيح الثنية ، في جميع حركاته وسكناته . فلو نام مثلاً حتى يريح  
 نفسه ، ليتقوى على العبادة بعده ، كان نومه عبادة ، وكان له درجة  
 المخلصين فيه ...

وكم من اعمال يتبع الانسان فيها ، ويظن انها خالصة لوجه الله ،  
 ويكون فيها مغروراً ، لانه لا يرى وجه الآفة فيها . كما حكي عن بعضهم  
 انه قال : « قضيت ثلاثة ثلاثين سنة ، صليتها في المسجد ، في الصف  
 الاول . لاني تأخرت يوماً لعذر ، فصليت في الصف الثاني ، فاعترضني  
 خجلة من الناس ، حيث رأوني في الصف الثاني . فعرفت ان نظر الناس  
 الي في الصف الاول كان مسرقتي ، وسبب استراحة قلبي ، من حيث  
 لا اشعر ! »

( الاحياء : رب المحبات : كتاب الاخلاص )

## السماع

بعد بحث طويل في اباحة الغناء وتحريمه ، يصل الغزالي الى هذه النتيجة :

ان السماع قد يكون حراماً محتضاً ، وقد يكون مباحاً ، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون مستجباً. اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان، ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا ، فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة . واما المكروه فهو لمن لا يتزله على صورة المخلوقين ، ولكنه يتخذه عادة له في اكثر الاوقات ، على سبيل الالهو . واما المباح فهو لمن لاحظ له منه الا التلاذ بالصوت الحسن . واما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ، ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة .

اما ام آداب السامع ، في نظر الغزالي ، ففي :

- ١ - ان يكون مصيناً الى ما يقول القائل ، حاضر القلب ، قليل الالتفات الى الجوانب ، متجرزاً عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد ، مشغلاً بنفسه ومراعاة قلبه ، ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمة في سره ، متغفلآ عن حرارة تشوش على اصحابه قلوبهم . بل يكون ساكن الظاهر ، هادى الاطراف ، متحفظاً عن التنجح والثاؤب ، ويجلس مطرقاً رأسه ، كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه ، متساسكاً عن التصديق والرقص وسائر الحركات ، على وجه التضييع والتتكلف والمرأة ، ساكتاً عن النطق ، في اثناء القول ، بكل ما عنه بد . فان غلبه الوجد ، وحرارة بغير اختيار ، فهو فيه معدور وغير ملوم . ومهما رجع اليه الاختيار ، فليعد الى هدوئه وسكنونه ...
- ٢ - ان لا يقوم ، ولا يرفع صوته بالبكاء ، وهو يقدر على ضبط

نفسه . ولكن ان رقص او تبكي فهو مباح ، اذا لم يقصد به المآة ،  
لان التباكي استجلاب للحزن ، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط ،  
فككل سرور مباح ... واما تزيق الثياب فلا رخصة فيه الا عند خروج  
الامر عن الاختيار . ولا يبعد ان يغاب الوجد ، بحيث يزق ثوبه وهو  
لا يدرى ، لغابة سكر الوجد عليه ، او يدرى ولكن يكون كالمضطر  
الذى لا يقدر على ضبط نفسه . وتكون صورته صورة المكره ، اذ  
يكون له في الحركة او التزييق متنفس ، فيضطر اليه اضطرار المريض  
الى الانين ...

٣ - موافقة القوم في القيام ، اذا قام واحد منهم في وجد صادق  
من غير ريا . وتكلف ، او قام باختيار من غير اظهار وجد ، وقامت له  
الجماعة . فلا بد من الموافقة ، فذلك من آداب الصحبة . وكذلك ان  
جرت عادة طائفة بتنحية العامة ، على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت  
عماته ، او خلع الثياب اذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق . فالموافقة في هذه  
الامور من حسن الصحبة والمعاشرة ، اذ الخالفة موحشة ، ولكل قوم رسم  
( الاحياء : رب العادات : الكتاب الثامن )

### الوجه

انه عبارة عن حالة يشعرها النماع . وهو وارد حق جديده ، عجيب  
النماع ، يحيده المستمع من نفسه . وتلك الحالة لا تخال عن قسمين ،  
فأنا اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات ، هي من قبيل العالم  
والتنبيبات ، واما ان ترجع الى تغيرات واحوال ، ليست من العلوم ،  
بل هي كالشوق والخوف ، والحزن والقلق والسرور ، والاسف والندم ،  
والبسط والقبض . وهذه الاحوال يحيدها النماع ويقويها ، فان ضفت  
 بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه ، او تغير حاله حتى يتحرك

على غير عادته ، او يطرق ، او يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته ، لم يسم وجداً . وان ظهر على الظاهر سبي وجداً ، اما ضعيفاً واما قوياً ، بحسب ظهوره وتغييره للظاهر .

(الاحياء : رب العادات : الكتاب الثامن )

### الارهام وانقلم

اعلم ان العلوم ، التي ليست ضرورية ، وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال ، تختلف الحال في حصولها . فتارة تهجم على القلب ، كأنه القى من حيث لا يدرى ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم . فالذى يحصل ، لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل ، يسمى الاماً . والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً ...

فإذا عرفت هذا ، فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية ، دون التعليمية . فلذلك لم يحرموا على دراسة العالم ، وتحصيل ما صنفه المصنفوون ، والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة ، بل قالوا : الطريق تقديم المجاهدة ، ومحو الصفات المذمومة ، وقطع العلاقة كائناً ، والاقبال بكله الملة على الله تعالى . ومهمها حصل ذلك ، كان الله هو المتولى لقلب عبده ، والمتكفل له بتنويره بانوار العلم . واذا تولى الله امر القلب ، فاضت عليه الرحمة ، واشرق النور في القلب ، وانشرح الصدر ، وانكشف له سر الملائكة ، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بعلف الرحمة ، وتلالات فيه حقائق الامور الالهية ...

وزعموا ان الطريق في ذلك اولاً بانقطاع علاقه الدنيا بالكلية ، وتفريغ القلب منها ، وبقطع الملة عن الاهل والمال والولد والوطن ، وعن العلم والولاية والجاه ، بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود

كل شيء وعده . ثم يخلو بنفسه في زاوية ، مع الاقتدار على الفرائض والروابط ، ويجلس فارغ القلب ، مجموع المم ، ولا يفرق فكره بقراءة القرآن ، ولا بالتأمل في تفسير ، ولا بكتاب حديث ولا غيره ، بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء . سوى الله تعالى . فلا يزال ، بعد جلوسه في الخلوة ، قائلاً بلسانه : الله ، الله ، على الدوام ، مع حضور القلب ، حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ، ويوري كأن الكلمة جارية على لسانه . ثم يصبر عليه إلى أن يمحى أثره عن اللسان ، ويصادف قلبه مواطنًا على الذكر . ثم يوازن عليه إلى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ ، وحرقه ، وهيئة الكلمة ، ويقى معنى الكلمة مجردًا في قلبه ، حاضرًا فيه ، كانه لازم له لا يفارقه . . .

وعند ذلك ، إذا صدق ارادته ، وصفت همتة ، وحسنت مواطنته ،  
فلم تخذله شهواته ، ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا ، تامع  
لوابع الحق في قلبه . . .

انه لو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض ، احتدل ان يساق إليه الماء من فوقه بانهارٍ تفتح فيه . ويحتمل ان يحفر أسفل الحوض ، ويعرف منه التراب ، الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي ، فينفجر الماء من أسفل الحوض . ويكون ذلك الماء اصفي وادوم ، وقد يكون أغزر واكثر . فذلك القلب مثل الحوض ، والعلم مثل الماء ، وتكون الحواس الحس مثل الانهار . وقد يمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات ، حتى يتلي على . . ويع垦 ان تسد هذه الانهار ، بالخلوة والعزلة وغض البصر ، ويعمد الى عمق القلب بتقطيره ، ورفع طبقات الحجب عنه ، حتى تتفجر ينابيع العالم من داخله .

فإن قلت : كيف يتغير العالم من ذات القلب ، وهو خالٍ عنه ؟ فاعلم

ان هذا من عجائب اسرار القلب، ولا يسمح بذكره في علم المعاملة<sup>١)</sup> بل  
القدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ،  
بل في قلوب الملائكة المقربين. فكما ان المهندس يصور ابنيه الدار في  
بياض، ثم ينجزها الى الوجود على وفق تلك النسخة، فكذلك فاطر  
الماءات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ،  
ثم اخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة... فكان للعالم اربع  
درجات في الوجود: وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده  
الجماني، وينبع وجوده الحقيقي، وينبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي  
اعني وجود صورته في الخيال، وينبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني  
وجود صورته في القلب...

فنتول: القلب، قد يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته، تارة  
من الحواس، وتارة من اللوح المحفوظ، كما ان العين يتصور ان يحصل  
فيها صورة الشمس، تارة من النظر اليها، وتارة من النظر الى الماء الذي  
يقابل الشمس ويحيطكي صورتها. فهما ارتفع الحاجب بينه وبين اللوح  
المحفوظ، رأى الاشياء فيه، وتفجر اليه العلم منه، فاستغنى عن الاقتباس  
من داخل الحواس، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض. ومما  
اقبل على الحالات الحاصلة من المحسوسات، كان ذلك حجاً له عن  
مطالعة اللوح المحفوظ، كما ان الماء، اذا اجتمع في الانهار، منع ذلك  
من التفجير في الارض، وكما ان من نظر الى الماء الذي يحيطكي صورة  
الشمس، لا يكون ناظراً الى نفس الشمس.

(الاحياء: رب الملائكة: كتاب عجائب القلب)

١) قال الفزالي في مقدمة كتاب الاحياء: «ان العلم، الذي يتوجه به الى الاخر»،  
ينقسم الى علم المعاملة وعلم المكافحة. واعني بعلم المكافحة ما يطلب منه كشف المعلوم  
فقط. واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف، العمل به. والمقصود من هذا الكتاب  
علم المعاملة فقط، دون علم المكافحة؛ التي لا رخصة في ايداعها الكتب! ...»

## الفرالي والدحيل

في كتب الفزالي كثير من آيات الانجيل ، وفيها اقوال مشابهة لاقوال الجليلية ، وفيها اقوال منسوبة الى المسيح غير موجودة في الانجيل . وانما ثبتت المك بعض هذه الاقوال ، وثبتت المك النص الاصل مثابلا :

### ١ - آيات مثابة

اما انت ، متى صمت ، فادهن رأسك ، واغسل وجهك : لا تظهر للناس صيامك ، بل لا يبيث الذي في الحفا ..  
واما انت ، متى تصدقت ، فلا تعرف شمالك ما تفعل يبيثك .

متى صليت ادخل مخدعك ،  
واغلق بابك ، وصل الى ابيك الذي في الحفا ، وابوك الذي يرى الحفایا يكافيك .

( مق: ٦٠٣٤١٨٤١٢٥:٦ )

ويلكم ، ايها الكتبة والقريسيون المراوون ، لانكم تغلقون ملకوت السموات في وجه الناس ، فلا تدخلون ولا تدعون الراغبين يدخلون .

ويلكم ، ايها الكتبة والقريسيون المراوون ، فانكم كالقبور المحصنة ، ظاهرها رائق ، وباطنها كدس رفات واقدار .

( مق: ٣٧٤١٣:٢٣:٤ )

قال عيسى المسيح ، صلى الله عليه وسلم : اذا كان صوم احدكم ، فليدهن رأسه وحليته ، ويصح شفتيه ، لثلا يرى الناس انه صائم ،

واذا اعطى بيديمه فليخف عن شحالم ،

واذا صلى فليخرج ستر بابه ، فان الله يقسم الثناء ، كما يقسم الرزق .  
( الاحياء : ٣: ص ٣٠٣ )

قال عيسى ، عليه السلام : مثل علام ، السو ، كمثل شجرة وقامت على فم النهر ، لا هي تسرب الماء ، ولا هي تنزع الماء ، يخلص الى الزرع .  
ومثل علام ، السو . مثل قنة الحش ، ظاهرها جص وباطنها نتن ، ومثل القبور ظاهرها عاص وباطنها عظام موتي .  
( الاحياء : ١: ص ٤٥ )

طوبى للساكين بالروح ، فان لهم  
ملكون المهاوات ،

طوبى للودعا ، فانهم يرثون  
الارض ،

طوبى الانقىاء القلوب فانهم  
يعاينون الله .

(متى : ٥: ٨٤، ٣: ٢)

سمعت انه قيل : عين بعين ، وسن  
بسن . وانا اقول لكم : لا تقاوموا  
الشريرا من لطمك على خدك الاين ،  
ادر له الاخر و من ادعى قيصك ،  
اعطه مطرفتك ! ومن سخرك ميلا ،  
سر معه ميلان !

(متى : ٥: ٤١-٤٨)

لا تكتروا لكم كنوزا على  
الارض ، حيث ينخر السوس والدود ،  
وحيث ينقب السارقون فيسرقون .  
بل اكتروا لكم كنوزا في السماء ،  
حيث لا ينخر سوس ودود ، وحيث  
لا ينقب سارقون فيسرقون ، لأن  
قلبك حيث كنزك .

(متى : ٣: ١٩-٣١)

قال المسيح عليه السلام : طوبى  
المتواضعين في الدنيا هم اصحاب  
المنابر يوم القيمة ،

طوبى للمصلحين بين الناس في  
الدنيا ، هم الذين يرثون الفردوس  
يوم القيمة ،

طوبى المطهرة ولو هم في الدنيا ، هم  
الذين ينتظرون الى الله تعالى يوم القيمة  
(الاحياء : ٣: ٢٣)

ورأيت في الانجيل : قال عيسى  
ابن مريم ، عليه السلام : لقد قيل  
لكم ، من قبل ، ان السن بالسن ،  
والانف بالانف . وانا اقول لكم :  
لاتقاوموا الشر بالشر ، بل من ضرب  
خدك الاين فحول اليه الحد الایسر ،  
ومن اخذ ردا ، فاعطه ازارك ، ومن  
سخرك لتسير ميلان ، فسر معه ميلان .  
(الاحياء : ٦: ٥)

قال عيسى ، عليه السلام : لا  
تتخذوا الدنيا ربا ، فتتخدمكم بعيدا .  
اكتروا كنزا عند من لا يضيعه ،  
فإن صاحب كنزا الدنيا يخاف عليه  
الأخذ ، وصاحب كنزا الله لا يخاف  
عليه الآخذ .

(الاحياء : ٣: ١٩)

لا يقدر احد ان يخدم ربَّين : انه  
اما ان يبغض الواحد ويحب الآخر ،  
واما ان يلازم الواحد ويبغض الآخر .  
لا تقدرون ان تخدموا الله والمال .  
(متى : ٦ : ٣٤)

قال عيسى عليه السلام : لا  
يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب  
مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والثار في  
انا واحد .  
(الاحياء : ٣ : ١٤٠)

انظروا الى طيور الدعا : انها لا  
تررع ، ولا تحصد ، ولا تدخر ، وابومك  
الداوي يقوتها . الستم افضل منها  
بكثير ... تأملوا زفاف الحقل كيف  
تشدو : انها لا تتعب ، ولا تنزل . ومع  
ذاك سليمان نفسه ، في كل مجده ، ما  
اكتسى كواحدة منها .  
(متى : ٦ : ٣٦ ، ٣٨ : ٣٩)

قال عيسى :  
انظروا الى الطير لا تررع ، ولا  
تحصد ، ولا تدخر ، وانه تعالى يرزقها  
ب يوماً بيوم . فان قلت : نحن اكبر  
بطوناً ، فانظروا الى الانعام كيف  
قيض الله تعالى لها هذا الخلق  
للرزق .  
(الاحياء : ٦ : ١٩٠)

٢ - اقوال منسوبة للسيّج ، وليست له :

- كم من جسد صحيح ، ووجه صحيح ، ولسان فصيح ، غدا بين اطباق النار يصبح .  
(الاحياء: ٤: ٣٨٣)

- من الذي يبني على موج البحر دارا ؟ تلكم الدنيا ، فلا تخذوها قرارا .  
(الاحياء: ٣: ١٤١)

- يا معاشر الطواريين ، جوعوا بطونكم ، لعل قلوبكم ترى ربكم .  
(الاحياء: ٣: ٦)

- لا تنتظروا الى اموال اهل الدنيا ، فان بريق اموالهم يذهب بنور اياتكم .  
(الاحياء: ٣: ٤٤)

- مثل طالب الدنيا مثل شارب ما . البحر ، كلما ازداد شربا ، ازداد عطشا ، حتى يقتله .  
(الاحياء: ٣: ١٦٤)

## ٥

- صحب رجل عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، فقال : اكون معك واصحبك . فانطلق ، فانتهيا الى سط نهر ، فجلسا يتقديان ، ومعهما ثلاثة ارغفة ، فاكلا رغيفين ، وبقي رغيف ثالث . فقام عيسى ، عليه السلام ، الى النهر فشرب ، ثم رجع ، فلم يجد الرغيف ، فقال للرجل : من اخذ الرغيف ؟ فقال : لا ادرى . (قال) فانطلق ومعه صاحبه ، فرأى ظيبة ، ومعها خشنان لها ... فدعا احدهما ، فاتاه ، فذبحه ، فاشتوى منه ، فاكل هو وذاك الرجل . ثم قال للخشاف : قاذن الله اقام . فقال للرجل : اسألك بالذي اراك هذه الآية : من اخذ الرغيف ؟ فقال : لا ادرى . فانتهيا الى مقارة ، فجلسا ، فاخذ عيسى ، عليه السلام ، يجمع ترابا وكتينا ، ثم قال : كن ذهبا باذن الله تعالى ! فصار ذهبا . فقسمه ثلاثة اثلاث ثم قال : ثلث لي ، وثلث لك ، وثلث لم اخذ الرغيف . فقال : انا الذي اخذت الرغيف . فقال : كله لك . وفارقه عيسى ، عليه السلام .  
(الاحياء: ٣: ١٨٨)

## نستغفر الله

ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم ، او طفي به القلم ، في كتابنا هذا<sup>(١)</sup> ، وفي سائر كتبنا .  
 ونستغفره من اقوالنا ، التي لا توافقها اعمالنا .  
 ونستغفره لما ادعيناها ، واظهرناها من العلم والبصيرة بدين الله تعالى ، مع التقصير فيه .

ونستغفره من كل علم وعمل ، قصدنا به وجهه الكريم ، ثم خالطه غيره .  
 ونستغفره من كل وعد وعدناه به من انفسنا ، ثم قصرنا في الوفاء به .  
 ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا ، فاستعملناها في معصيته .  
 ونستغفره من كل تصريح وتعمريض بنقصان ثاقب ، وتصريح مقصري ،  
 كنا متصفين به .

ونستغفره من كل خطوة دعتنا الى تصفع وتكسر ، تربينا للناس ،  
 في كتاب سلطناه ، او كلام نظمناه ، او علم افدىناه او استفدىناه .  
 ( الاحياء : في صفحات الخاتمة )

---

(١) كتاب الاحياء .

# فلاسفة العرب

سلسلة دراسات ومحاضرات

ظهر منها :

- ١ - ابن الفارض ( طبعة ثانية )
- ٢ - ابو العلاء المعري ( طبعة ثانية )
- ٣ - ابن خلدون ( طبعة ثانية )
- ٤ - الفزالي : في جزئين ( طبعة ثانية )
- ٥ - ابن حفيل
- ٦ - ابن رشد : في جزئين
- ٧ - اخوان الصفا .

ل المؤلف ايضاً :

قریان الاغانی : معرّب عن طاغور

تم طبع هذا الكتاب  
في السادس عشر من شهر شباط

سنة ١٩٥٣



رفع أعلاه الدين شوقي أسكنه الله الفردوس



المستوى الوحيد المكتبة الشرقية ، ساحة النجمة - بيروت  
١٠٠ غ ل.